التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الثلاثون - العدد الخامس - جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ

١٠٠ قرش

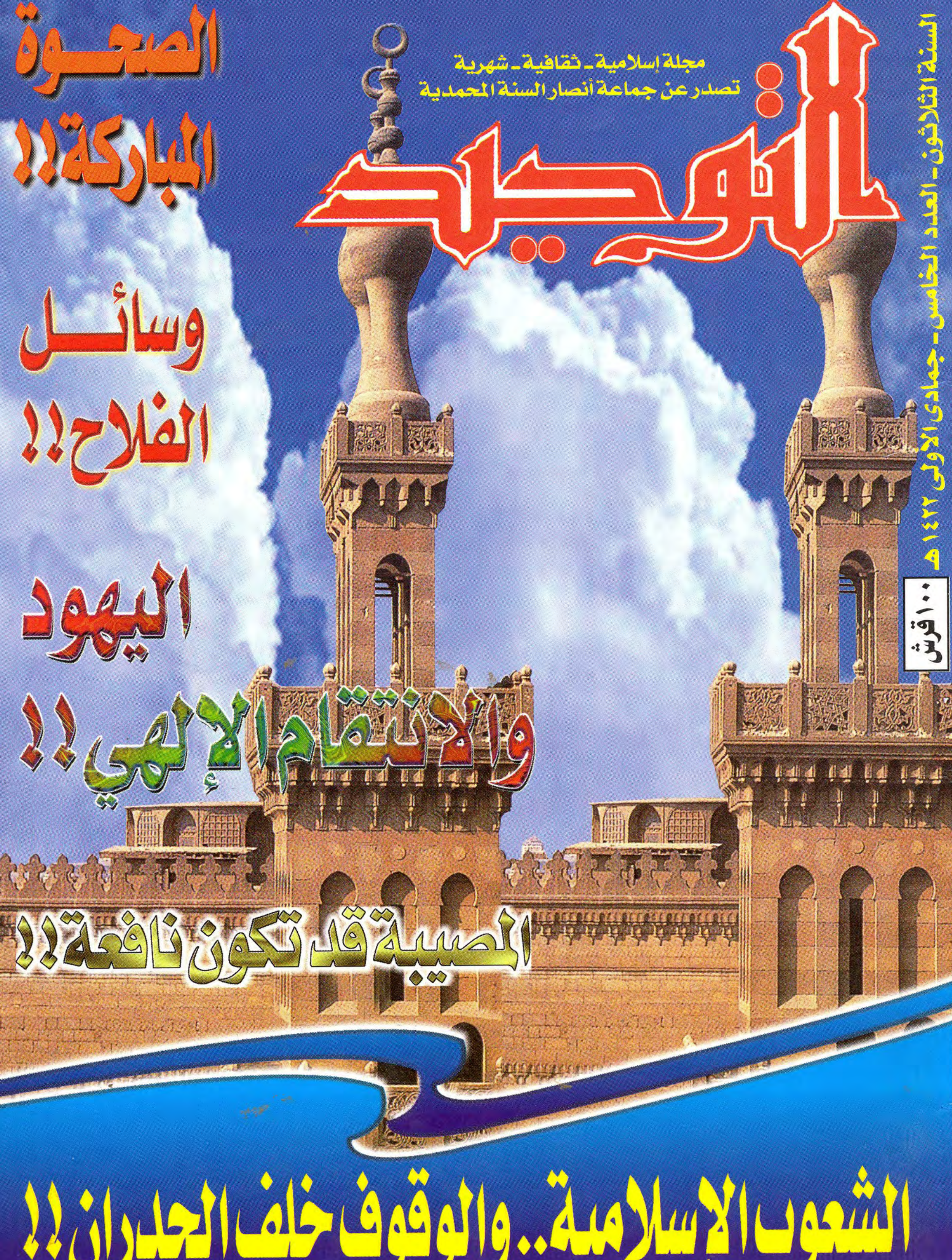

الصحوة المباركة !!

وسائل الفلاح !!

اليهود والانتقام الإلهي !!

المصيبة قد تكون نافعة !!

الشعوب الإسلامية.. والوقوف خلف الجدران !!

• صاحبة الامتياز •

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام : القاهرة ـ ٨ شارع قوله ـ عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ ـ ٣٩١٥٤٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

رئيس مجلس الإدارة
محمد صفوت نور الدين

المشرف العام
د. جمال المراكبي

مدير إدارة المجلة
محمود غريب الشربيني

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفنى
حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي:
١ ـ فى الداخل ١٥ جنيه (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحي ـ على مكتب بريد عابدين).
٢ ـ فى الخارج ٢٠ دولار أو ٧٥ ريال سعودى أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك . على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر

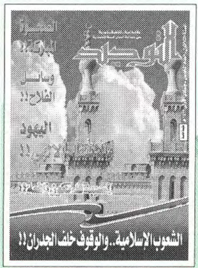

فى هذا العدد

الافتتاحية : الصحوة المباركة : بقلم / الرئيس العام ٢
كلمة التحرير : بقلم / رئيس التحرير ٥
باب التفسير : سورة الحديد : بقلم د. عبدالعظيم بدوى ٨
باب السنة : ساعة وساعة : بقلم / الرئيس العام ١٢
وسائل الفلاح : بقلم : د . جمال المراكبى ١٦
قصيدة لك الله يا قدس : بقلم : زكريا عبدالمحسن ٢٠
بحث فى دعاء الاستخارة : ٢١
بقلم : الشيخ مصطفى العدوى
تحذير الداعية من القصص الواهية : ٢٤
بقلم : على حشيش
العلمانية : بقلم : الشيخ اسامة سليمان ٢٩
عقائد العلماء ٣٠
تأجير الأرحام : بقلم : الشيخ محمود غريب الشربينى ٣٢
اليهود والانتقام الإلهي : بقلم : د. الوصيف على حزة ٣٦
أنصار السنة وستون عاماً : من الصحافة الإسلامية : ٤١
بقلم : الشيخ فتحى عثمان
المصيبة قد تكون نافعة : ٤٥
بقلم : د. محمد بن سعد الشويعر
أسئلة القراء عن الاحاديث : ٤٨
بقلم : الشيخ أبو اسحاق الحوينى
الفتاوى ٥٢
فتاوى : سماحة الشيخ ابن عثيمين ٥٥
قصيدة لاهاى والعدل الإلهي : حسن ابو الغيط ٥٧
الإعلام بسير الأعلام : بقلم : الشيخ مجدى عرفات ٥٨
الجدية فى الالتزام بالشرع : الشيخ : جمال عبدالرحمن ٦٢
باب السيرة : بقلم الشيخ عبدالرازق السيد عيد ٦٤
عقائد الصوفية : بقلم محمود المراكبى ٦٧
داء الرياء القاتل وعلاجه الناجع : ٦٩
بقلم : محمد أيمن الشبراوى

التحريـــــــر
٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة
ت : ٣٩٣٦٥١٧ فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات : ت : ٣٩١٥٤٥٦

مع القراء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعـــــــد ..،

أخى القارئ.. فقد شاءت إرادة المولى سبحانه وتعالى أن أكتب فى الشهر الماضى هذه الإطلالة وأنا سكرتيراً للتحرير.. وفى هذا الشهر أكتبها وأنا رئيسًا للتحرير، هذه المكانة التي سبقنى إليها علماء أفاضل، وشيوخ أجلاء، هم أساتذة لنا.. وشيوخ تعلمنا على أيديهم العلم النافع، كان آخرهم الشيخ أحمد فهمى حفظه الله.. والشيخ صفوت الشوادفي يرحمه الله رحمة واسعة وأنزله فسيح جناته، والدكتور جمال المراكبي حفظه الله... وإذا كنت إشير تلك الإشارة فذاك لأننى أحتاج لعون ومساعدة الأحياء منهم.. وذلك باستمرار النصح لنا.. وتوجيهنا إلى ما فيه الصلاح والفلاح.

ومنك عزيزى القارئ نحتاج الدعم والمؤازرة .. وإبداء الرأى...

اللهـــم عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصيـــــر ..،

رئيس التحرير

التوزيع الداخلي :
مؤسسة الأهرام
وفـروع أنصـار
السنة المحمدية

ثمن النسخة :

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الامـــارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمـــريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

الصحوة المباركة!!

بقلم الرئيس العام: محمد صفوت نور الدين

الحمد للَّه وحده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه.. وبعد:

فإن الإسلام دين اللَّه الذي بعث به رسله وأراد اللَّه تعالى له بقاءً بقوله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)، (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) (يوسف: ٢١)، وقد جعل اللَّه تعالى في هذه الأمة الخاتمة من أسباب حفظها وجود العلماء حيث قال رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء». أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد عن أبي الدرداء.

وقد بدأ العلم بالصحابة في حياة النبي ﷺ، فكانت حياة الصحابة مع النبي ﷺ كلها تطبيقًا عمليًا لشرع رب العالمين، حيث شهد الصحابة الوقائع مع النبي ﷺ، وأدركوا الآيات تتنزل فيها، وكانت مدارسة ذلك في المساجد وفي البيوت، وفي الأسفار والإقامة، بين الرجال معًا في اجتماعاتهم ولقاءاتهم، وكذا النساء عند اجتماعهن، يجعلن اجتماعهن مدارسة للعلم، وبين الرجال والنساء من المحارم والأزواج، وبين الرجال والأبناء، بل ومع العبيد والإماء، حتى تَخَرَّج في البيوت من العلماء بالمئات قرونًا متتالية، بل بالآلاف أو يزيد، فكانت حركة العلم نشيطة مستمرة قرونًا متتالية، حتى جُمعت المدونات، وانتشرت الإجازات، وكثرت المصنفات، وبقي ذلك لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك».

فبقي العلم قرنًا بعد قرن، وبقي العمل به مشتهرًا في المسلمين، يدفعهم بل ويخيفهم ويفزعهم قول الحق سبحانه وتعالى: (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد: ٣٨)، فاجتهد المجتهدون، فقربوا للناس الدين فأصّلوا الأصول ووضعوا الضوابط، وبينوا للناس فقه عباداتهم ومعاملاتهم، وعملوا به، فبقي الإسلام بالعلم والعمل بسبب طائفة كبيرة من العلماء في بلاد الإسلام، وذلك باق بحمد الله تعالى إلى قيام الساعة.

في تاريخ الإسلام غفوات وكبوات!!

لكن حدث في تاريخ الإسلام غفوات وكبوات اتبع فيها الناس الشهوات وانصرفوا إلى الملذات، ونُسي العلم وانزوى أهل الطاعات في الزوايا والأركان، بل وعمت البدع والخرافات، وتطاول في الناس أهل الضلالات، لكن الله الحافظ يبقي دينه ويحفظ شرعه، فنحن نرى اليوم الصحوة المباركة تتمثل في شباب في مقتبل العمر- مع انتشار كتب العلم- فرحت الأمة بهم لانتشارهم في كل بلاد الإسلام، بل وبين المسلمين المقيمين في بلاد الكفر، فسموا هذه الحركة المباركة (الصحوة الإسلامية)، وهذا الاصطلاح جميل لا نرفضه، بل نحبه ونؤيده إلا أننا نتحفظ على المعنى المقصود من ورائه؛ ذلك أنه يحمل أحد معنيين:

صحوة شباب الأمة!!

الأول : هو أن الأمة كانت تغط في ثبات عميق هجرت العلم حتى اختلط بالباطل فلا يعرف الحق من الباطل، وهجرت العمل فصار مجهولاً فلا يدري أحدٌ المعاني المقصودة من نصوص الشرع، وفجأة وعلى حين غرة صحا شباب من الأمة، فإذا بالعلم غير معروف والعمل به غير مألوف، فصاروا يجتهدون في التعرف على العلم والعمل ويرشدون الناس إليه، وليس لهم من علماء يهدونهم أو فقهاء يبصرونهم، فيعترضون على كل شيء ويخطئون كل أحد، فيقع منهم الاعتراض على الأصول والثوابت، ويشككون في اليقينيات، ويستريبون في البديهيات، وهذا المعنى مرفوض باطل، خاطئ، الهدف من ورائه خطير، يقوده الشيطان ليقطع أصل الإسلام في اتصال حلقاته فينحرفون وهم لا يشعرون؛ لأنهم لا يعلمون أن الإسلام متصل النقل بالنص والتطبيق بطريق العدول الضابطين عن أمثالهم حتى يبلغوا بنقلهم الصحابة ثم النبي ﷺ، يشمل ذلك من الدين كل صغير وكبير.

طائفة تعرف الحق!!

المعنى الثاني: أن الأمة أصابتها الغفوة في عوامها وحكامها، وبقيت طائفة هم من علمائها تعرف الحق وتعمل به وتدعو إليه، أتباعهم قلة كأتباع الرسل السابقين، فهم ومن تبعهم في غربة شديدة، حتى مر العالم بأهوال عظيمة وفظائع جسيمة، جعلت الكثرة من الناس في بعد عن الإسلام لا يتعلمون أحكامه وآدابه ولا يعملون بها، ثم إذ بطائفة قليلة من شباب الأمة ينتبهون لذلك، فأفاقوا على صيحات العلماء العاملين فاستجابوا لهم، ثم كثر الأتباع وتوالى المستجيبون، فأخذ العلماء يعرفونهم الحق الموروث المتصل من السلف إلى الخلف جيلاً بعد جيل، وقرنًا بعد قرن بالمعاصرة والتلقي والتعلم، فاجتهدوا في تبليغه للناس بالحكمة والموعظة الحسنة، فشاركوا الناس في حياتهم، وأرشدوهم إلى جادة دينهم وكتابهم، ففتح الناس أعينهم على الحق، وعرفوا أهله، فالتفوا حول العلماء، فعمرت حلقات العلم، فأقاموا الصلاة، وأخرجوا الزكاة، وتعاطفوا فيما بينهم، فأصبحت القيادة للعلم والعلماء، فتلك هي الصحوة المباركة، وبالتالي فإنها لا تدعو الناس لفهم جديد أدركوه، إنما تدعوهم للأمر الأول من العلم النبوي والسلوك الصحابي

والنقل التابعي، والأمر الذي كان عليه أهل السنة والجماعة، وخالفوا فيه فرق الضلال، وأرسوا قواعد أهل السنة والجماعة، وكشفوا عوار مخالفيهم، وبينوا سوء عملهم، وانحراف أقوالهم، وسوء فهمهم للقرآن والسنة.

أهل الحق باقون قولا وعملا !!

لذا فإنني أحب أن أنبه إلى مسائل:

الأولى: أن الله سبحانه جعل أهل الحق باقين قولاً وعملاً، وقد أخبر بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «لا يزال من أُمتي أُمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». فلا يكون الحق إلا موروثًا ميراثًا متصلاً بالنبي ﷺ، فكل قول أو عمل على غير هذه الصفة فهو من المخالفات المنكرة أو البدع المحدثة، فاحذره واجتنبه.

الثانية : أن المسلمين قد مروا في تاريخهم بكبوات، بل ونكبات، إنما كانت بغفلتهم عن دينهم الحق، وبتركهم الرجوع إلى الله، ونصرة دينه، فلا ينصر الله إلا من نصره. وهكذا في كل بقاع الأرض وكل زمان مضى، لا ترى مسلمين أهينوا في بلدهم الإسلام إلا وقد سبقوا هم بتركهم دينهم فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فأصابهم الضنك، وتسلط عليهم العدو.

البدع أضر على المسلمين من المعاصي !!

الثالثة : أن البدع أضر على المسلمين من المعاصي، فينبغي أن نخاف من وقوعنا في المعصية وانتشارها، وأن يكون خوفنا من انتشار البدع أكثر، وأن أشر البدع تلك التي تفرقت بسببها الأمة، وأشرها قاطبة بدع الشيعة الذين يزعمون حب آل البيت، مع أنهم أشد أعداء أهل البيت، حيث جعلوا ذلك ذريعة ومطية لارتكاب كل منكر وهجر كل شرع، وزعموا أن للقرآن باطنًا غير ما يظهر للناس، فمن هذه الأقوال تفرعت أقوال أهل الضلال، فزرعوا فرق التصوف بين أهل السنة، وشوهوا للناس جمال دينهم، وأضلوهم عن طريق ربهم.

أهل البدع.. ومعاهد العلم الشرعي !!

الرابعة: أن أهل البدع وسدنتهم عكفوا على طواغيتهم في محافلهم وأكلوا من سحت النذور المقدمة إليهم، ثم دفعوا بأبنائهم إلى معاهد العلم الشرعي، فنبت لحمهم من الحرام، ولبسوا زي أهل العلم، وصارت البدعة والعلم في هذه المعاهد وجهين لعمله واحدة، فظن الناس أنهما شيء واحد، وأن الأزهر الجامعة العريقة هو الصوفية؛ لذا فإنه لا بد لأبناء الصحوة المباركة أن يُصَبِّروا أنفسهم، ويدفعوا أبناءهم لتعلم العلم الشرعي، حتى يرجع الأمر إلى نصابه، ويسود العلم مع أكل الحلال والعمل بالشرع.

فالله نسأل أن يرحم السابقين، وأن يلحقنا بهم على الإحسان، إنه لما يشاء قدير.

وكتبه
محمد صفوت نورالدين

كلمة التحرير

الشعوب الإسلامية والوقوف خلف الجدران !!

بقلم : رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

إن ما يحدث من حولنا .. يصيب الإنسان في مقتل .. الانكسار .. والذلة والهوان أصبحت هي السمة المميزة لكل ما يحدث في الداخل والخارج ، وحالة من الإحباط تتملك الجميع.. اليهود يعربدون في كل مكان... يبيدون الأخضر واليابس ، والصمت المميت يسيطر على الجميع ، حتى ملامح الغضب على وجوه البشر أصبحت جرم يحاسب علية صاحبه ، وبرغم ما أثلج صدور المسلمين ، من قرار تسليم السفاح الصربي لمحاكمته أمام محكمة مجرمي الحرب ، ووقع السفاح سلوبودان ميلوسوفيتش في يد ما يسميها الغدب بالعدالة ، على الرغم أن الجميع يعرف أن المسالة ليست عدالة ولا .. وإنما هي تصفية الحسابات، ،المعايير المصلحية للنظام الدولي الفاسد .. على الجانب الآخر ما زال السفاح الدولي شارون زميل ميلوسوفيتش وأستاذه في توريث علم المذابح البشرية ، يعربد ويدمر في كل مكان من أرض فلسطين ، بل إن الدول العربية والإسلامية تمنحه المكافاة ، فموريتانيا - الدولة العربية المسلمة - التي أصبحت قاعدة عسكرية لليهود تقوم بإجراء مناورات مشتركة في موريتانيا مع خنازير شارون !! وقطر في أختيار غريب، بل مميت ، تستضيف على أرضها المؤتمر الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية!! والولايات المتحدة - أقصد الأمم المتحدة - برئاسة أمينها العام ياخذ التعليمات من أسيادة في أمريكا ، وتظهر الأحداث أن قواته الموجودة في لبنان أصبحت قوات تجسس لحساب أمريكا واليهود !! والضربات تزداد ، والحزن يخيم على الجميع ، والشعوب الإسلامية لا حول لها ولا قوة إلا بالله ، وما زال قادتنا يقفون خلف الجدران ، ويشاهدون بلا حراك ... ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

مطلوب محاكمة الكيان الصهيوني !!

إذا كانت محاكمة السفاح الصربي ميلوسوفيتش تاتي بعد فوات الأوان وتصفية للحسابات ، بل إنها تاتي في نطاق صفقة بين الدول الغربية وأمريكا... والنظام الحاكم في يوغسلافيا .. إنه حلف الشيطان : (آلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (المجادلة : ١٩) ، لكن أين النظام الدولي من سفاح صبرا وشاتيلا!! أين النظام الدولي من الكيان الصهيوني!! فلم يعد كافيا محاكمة شارون وحده .. أو هو ومن على شاكلته من مجرمي الحرب ورؤوس الإرهاب !! فشارون ورفاقه ما هم إلا تلاميذ تخرجوا في

كلمة التحرير

محاكمة ميلوسوفيتش صفقة بين الغرب وأمريكا..!!

مدرسة العنصرية الصهيونية ... فهل يتحرك النظام الدولي ليدافع عن وجهه القبيح ويحاكم النظام العنصري في إسرائيل !! أم أن المؤامرة سوف تستمر على المسلمين إلى ما لا نهاية!!

الكيان الصهيوني إلى زوال !!

وبالرغم من الحالة السلبية التي يعيشها قادتنا أمام ما يحدث في كل مكان للمسلمين... إلا أن الله سبحانه قد وعدنا بالنصر ، وقد قال تعالى : فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) (محمد : ٣٥) ، والناظر الى عدد اليهود في العالم والذي لا يزيد على ١٥ مليون نسمة، في حين يتجاوز عدد المسلمين عدد اليهود مائة مرة، فيكف يُعقل أن تخضع الإرادة الإسلامية لليهود الذين قال الله فيهم : وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) (البقرة: ٦١)، ووعد الله آت لا محالة إن اتبع المسلمون منهج الله وعادوا إليه !!

وتؤكد الأرقام أن الفلسطينيين ممن يسمون فلسطينيو الداخل ، والذين يبلغون ٢٥٪ من تعداد سكان إسرائيل ، معدل تزايدهم السنوي ٣,٥٪ ، بينما معدل تزايد اليهود الزيادة الطبيعية ، بالإضافة إلى الهجرة من الخارج تبلغ ١,٥٪ ، وتقدر إسرائيل عدد الذين سيهاجرون إليها خلال العشرين سنة القادمة بـ ١,٧ مليون يهودي ، وعن إمكانية عودة الفلسطينيين المطرودين إلى بلادهم وأملاكهم التي طردوا منها عام ٩١٤٨م، تشير الإحصائيات أن اليهود يتركزون وحدهم حول تل أبيب في ٧٪ من المساحة الإجمالية لفلسطين ، وفي منطقة مختلطة مع الفلسينيين بجوار المنطقة السابقة، وتبلغ مساحتها ٨٪ من المساحة الإجمالية لفلسطين ، أي أن مساحة ١٥٪ من المساحة الأجمالية لفلسطين يعيش عليها ٨٠٪ من اليهود ويعيش ١٨٪ في مدن فلسطين في قضاء طبرية وصفد، وصحراء النقب ، ٢٪ من اليهود يقطنون في المزارع الجماعية ، وإسرائيل ليست شعبًا ، بل شتاتًا ، فسكانها هم شتات من المهاجرين من ١٠٢ دولة ، ويتحدثون ٣٢ لغة ، فهل يعقل أن يأتي هذا الشتات من خنازير اليهود ليحلوا محل شعب بأكمله ويبيدونه بالكامل ؟!!

موريتانيا قاعدة عسكرية لليهود !!

وفي ظل المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني بكل ما تعني الكلمة على يد خنازير اليهود والأمريكان ، وفى ظل نظام غربي متآمر تكافئ الدول العربية والإسلامية إسرائيل ، فموريتانيا تجعل من أرضها قاعدة عسكرية لليهود !! وتقوم بإجراء مناورات مشتركة في موريتانيا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !! وهذا الخبر على خطورته مر بهدوء تام!!

وقد ثارت الشعوب العربية ومنها موريتانيا - أقصد الشعب الموريتاني - لمجرد إبقاء بعض الدول العربية على علاقتها التجارية مع إسرائيل ، وحشدت الدول العربية كل قواها للاحتجاج على إجراء مناورات عسكرية إسرائيلية تركية مشتركة ، وتركيا ليست عضوًا في جامعة الدول العربية !! أما أن يصل الأمر إلى حد جعل الأراضي الموريتانية قاعدة عسكرية لإسرائيل فهذه هي الكارثة ، لجعل الأراضي

الدول الإسلامية تشارك فى مكافأة خنازير اليهود..!!

الموريتانية مفتاحًا أمام قوات اليهود إلى بلاد إفريقيا المسلمة كالجزائر والمغرب وليبيا وغيرها!!

قطر تشارك في مكافأت اليهود !!

وتشارك قطر أيضًا في إغداق المكافات على الصهانية ، فبينما تندد قطر بالقمع الإسرائيلي للفلسطينيين في الأراضي المحتلة ، في الوقت نفسه تحتضن عاصمتها أعضاء الوفد الإسرائيلي المشارك في المؤتمر!! حيث تستضيف المؤتمر الوزاري الرابع لمنظمة التجارة العالمية ، ومن مفهوم عصري مازالت قطر برغم أنها أعلنت عن غلق مكتب التمثيل التجاري الإسرائيلي ، إلا أنه مازال يمارس نشاطه من العاصمة القطرية !! وقد كان مجرد اختيار العاصمة القطرية اختيارًا يشوبه الخبث والدهاء ، وقد أكد مصدر رفيع المستوى من داخل منظمة التجارة العالمية أن اختيار الدوحة قد جاء فقط لكونها مدينة صغيرة بعيدة عن ضجيج وصخب الدول الغربية التي اعتاد سكانها تنظيم المظاهرات التي تندد بالعولمة والتكتلات الاقتصادية !!

هل تتحول قوات الأمم المتحدة إلى جواسيس لإسرائيل !!

تحاول إسرائيل جاهدة بعد هزيمتها وانسكارها في جنوب لبنان ترويج أكذوبة كبرى عن قيام أفراد المقاتلين في جنوب لبنان بتقديم رشاوى لأفراد الكتيبة الهندية العاملة ضمن قوات الأمم المتحدة في لبنان ، حتى يتمكنوا من اختطاف الجنود الاسرائيليين الذين تم خطفهم آنذاك ، وزعمت صحيفة معاريف الإسرائيلية أن قوات المقاومة لم تتمكن من اختطافهم إلا بعد تقديم عدة آلاف من الدولارات لعشرات الجنود من أفراد الفرقة الهندية ، وقالت الصحيفة : إن رجال موساد إسرائيليين استجوبوا جنود أمن الفرقة الهندية بالهند واعترفوا بتفاوضهم مع قوات المقاومة بشأن تقاضي مبالغ مالية نظير التعاون معهم!! وقد نفت القوات الدولية تلك المزاعم الإسرائيلية ، واعتبرتها أسلوبًا رخيصًا لإثارة الشكوك في قوات المنظمة الدولية !!

يأتي ذلك في محاولة من شارون لتشتيت الانتباه العالمي عن جرائم حرب الإبادة التي تشنها إسرائيل، وعقب الفشل الإسرائيلي في استلام الشريط الذي تم تصويره في اليوم التالي لأسر الجنود الأسرائيليين الثلاثة في السابع من أكتوبر الماضي ، وهو الشريط الذي نجح أحد أفراد القوة الهندية من تصويره بعد عملية الأسر للسيارات التي استخدمت في العملية وأرقامها ، وطالبت تل أبيب باستلامه، لكن قوات المقاومة اللبنانية هددت بالتعامل مع جنود الأمم المتحدة كجواسيس لإسرائيل في حالة تسليم الشريط الذي يمنح إسرائيل معلومات عن عملية الأسر والسيارات والطريقة التي تمت بها

وقد تراجعت قوات الأمم المتحدة عن موقفها أمام هذا التحدي ، وقال الناطق باسمها؛ إن الشريط سوف يتم عرضه على الإسرائيليين دون أن يظهر وجوه رجال المقاومة حفاظًا على حيدة الأمم المتحدة ، وقد انضمت الولايات المتحدة إلى إسرائيل في مطالبتها بتسليم النسخة الأصلية للشريط لإسرائيل !!

والوضع مرير ، ونحن مازالنا ننتظر التحرك قبل فوات الأوان ، وقد قال الله تعالى – وقوله الحق-: (إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) (التوبة: ١١١)، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

باب التفسير

سورة الحديد

«١»

بقلم الدكتور: عبد العظيم بدوي

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).

بين يدي السورة:

سورة مدنية، شأنها شأن السور المدنية في الاهتمام بالتشريع والقواعد التربوية والأخلاقية، وسميت بهذا الاسم؛ لذكر إنزال الله عز وجل الحديد فيها، وهكذا تسمى السور غالبًا بأشهر شيء فيها، كسورة البقرة، والأنعام، والأنبياء، والنمل، والفيل. إلخ.

استفتحت السورة ببيان أن كل ما في الكون يسبح بحمد الله، وأن الله (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، ثم ذكرت شيئًا من أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، ثم حثت المؤمنين على الإيمان بالله ورسوله، والإنفاق في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ثم ذكرت أحوال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، وكشفت الستار عن حقيقة الدنيا، حتى لا يغتر بها أحد، ولا يركن إليها، ولا يطمئن لها. ثم ذكرت الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وخُتمت بأمر المؤمنين بتقوى الله عز وجل، والإيمان به وبرسوله، عسى الله أن يؤتيهم كفلين من رحمته، ويجعل لهم نورًا يمشون به ويغفر لهم، والله غفور رحيم.

تفسير الآيات:

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) التسبيح لله معناه: تنزيه الله تعالى وتقديسه، وتعظيمه عن النقائص والعيوب، وقد سبح لله كل ما في السماوات والأرض، كما قال تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (الإسراء: ٤٤)، فهو تسبيح حقيقي بلسان المقال لا بلسان الحال، (وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)، ومن شاء الله له أن يسمع تسبيح الأشياء سمعه، كما جاء في الصحيح عن

ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وكل شيء له لغته التي تخصه، ويسمعها ويفهمها من شاء الله له، قال النبي ﷺ: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلِم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». (مسلم: ٢٢٧٧).

وقال تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ) (النمل: ١٦)، فلما أتى عليه السلام على واد النمل: (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) (النمل: ١٨)، فسمعها سليمان وفهم قولها: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) (النمل: ١٩)، فإذا عُلم هذا عُلِمَ أن تسبيح كلّ شيء، تسبيحٌ حقيقي بلسان المقال: (وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).

(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) العزيز: الغالب، الذي لا غالب لأمره، ولا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) (الأنعام: ١٨)، الحكيم: في تصرفاته وأفعاله، تعالى ربنا عن العبث علوًا كبيرًا.

(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض) كما قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) (الملك: ١)، وقال تعالى: (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (يس: ٨٣)، وقال تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْش اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) (طه: ٥، ٦)، وهو سبحانه يتصرف في ملكه كيف يشاء: (يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، كما قال تعالى: (قُل اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْك تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب) (آل عمران: ٢٦، ٢٧)، وكما قال تعالى: (لِلَّه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (الشورى: ٤٩، ٥٠)، (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) مما تعلقت به إرادته (قدير)، فإذا أراد شيئًا فما هي إلا كلمة (كن) فيكون، كما قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس: ٨٢)، لا يَعجز سبحانه عن شيء، ولا يُعجزه شيء، كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْض إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) (فاطر: ٤٤).

(هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)، فسّر النبي ﷺ هذه الأسماء بما كان يقوله في جملة أدعية النوم: «اللهم ربّ السماوات وربّ الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقْض عنا الدين، وأغننا من الفقر».

(وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) كما قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْض مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الطلاق: ١٢)، (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْض وَلاَ فِي السَّمَاء) (آل عمران: ٥)، (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَل إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَال ذَرَّةٍ فِي الأَرْض وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَاب مُّبِينٍ) (يونس: ٦١)، (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَة إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَة إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَر إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَة إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة: ٧).

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام)، وفسر ربنا سبحانه هذا الإجمال في سورة أخرى فقال: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَة أَيَّام سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْض ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيز الْعَلِيم) (فصلت: ٩-١٢)، ولحكمة ما خلق اللَّه السماوات والأرض في ستة أيام،

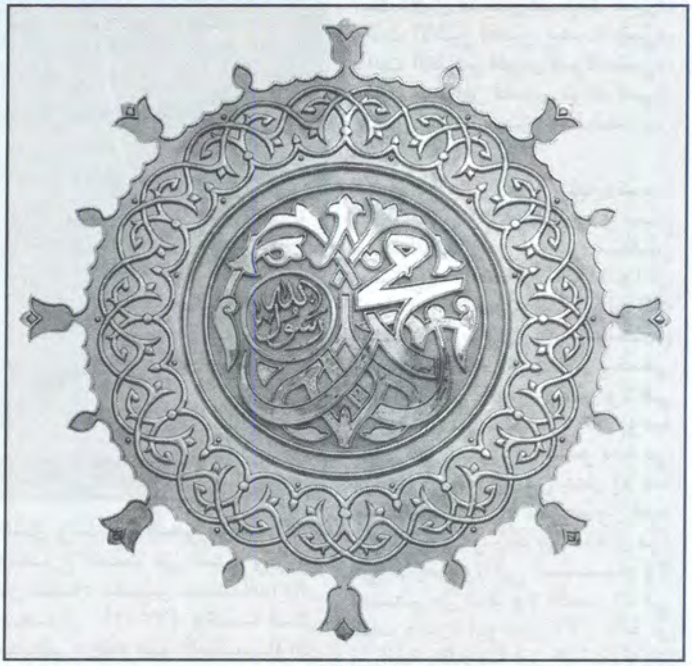

وهو القادر على أن تكون السماء والأرض بكلمة (كن)؛ ولذا قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) (ق: ٣٨)، تكذيبًا لليهود- عليهم لعائن الله المتتابعة- في قولهم: خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت؛ ولذلك اتخذوا السبت عيدًا، (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا) (الكهف: ٥).

وقوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) هذا هو الموضع السابع الذي أخبر الله تعالى فيه عباده باستوائه على العرش، والمواضع الست الأخرى هي:

- قوله تعالى في سورة الأعراف: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (٥٤).

- وقوله تعالى في سورة يونس: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ) (٣).

- وقوله تعالى في سورة الرعد: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (٢).

- وقوله تعالى في سورة طه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (٥).

- وقوله تعالى في سورة الفرقان: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (٥٩).

- وقوله في سورة السجدة: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (٤).

فوجب علينا الإيمان بما أخبرنا به ربنا من استوائه على عرشه، فالله تعالى قد خاطبنا بلغتنا التي نفهمها، وقد قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف: ٢). وقال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف: ٣)، والاستواء في اللغة معناه العلو والارتفاع، كما قال تعالى: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ. لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ) (الزخرف: ١٢- ١٤)، فاستواء ربنا على العرش معناه العلو والارتفاع عليه، ولكن استواء ربنا ليس كاستوائنا؛ لأن الله تعالى أخبر أنه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى: ١١)، (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (الإخلاص: ٤)، فلا نقول: استواء ربنا كاستوائنا، ولا نقول: استواء ربنا على العرش: استيلاؤه عليه، ولا نخوض في كيفية استوائه سبحانه، وإنما نقول كما قالت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ومن بعدها من التابعين وتابعيهم: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ) من الحب والقطر وغير ذلك: (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من النبات والمعادن والكنوز وغير ذلك، (وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من وحي وغيث وملائكة ونحو ذلك، (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) من ملائكة وأعمال وأرواح المؤمنين وغير ذلك، وهذه الآية كقوله تعالى: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (الأنعام: ٥٦).

وقوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) بعلمه وسمعه وبصره، لا كما يقول البعض: الله في كل مكان، يعنون بذاته، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

إن الله أخبرنا في صدر الآية بأنه استوى على العرش، ثم قال: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)، ولا يمكن أن يكون قد استوى على العرش، ثم يكون في كل مكان، فالحق أنه (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) بذاته، (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) بصفاته، بعلمه وسمعه وبصره. وعقيدة: الله في كل مكان باطلة؛ لأن معنى ذلك لا يخلو منه مكان، طاهرًا هذا المكان أو غير طاهر، شريفًا أو غير شريف، وتعالى اللَّه عن ذلك علوًا كبيرًا، وهذا القول معناه أن الله قد حلّ في كل شيء، وهذا كفر أعظم من كفر النصارى، فإنهم زعموا أن الله حلّ في عيسى وحده، وهذا القول يقتضي حلول الله في كل شيء، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فطهرّ قلبك يا عبد الله من هذه العقيدة الفاسدة، واعلم أن الله في السماء، على العرش استوى، استواءً يليق بجلاله، كما سبق بيانه، فهذه عقيدة أهل الإيمان، كما شهد بذلك رسول الله ﷺ، كما جاء في صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي أنه قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أُحُد والجوانيّة، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها». فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». وبهذا الجواب نطق كتاب ربنا، قال تعالى: (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ. أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) (الملك: ١٦، ١٧)، وقوله تعالى: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

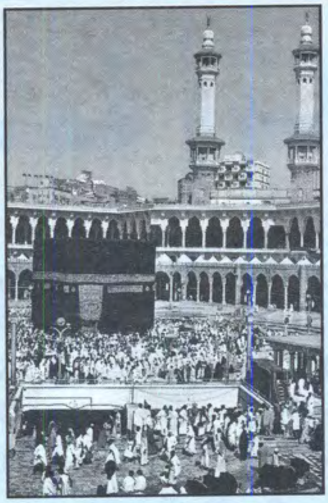

بَصِيرٌ) أي مطلع على أعمالكم كلها دقها وجلها، وسيجزيكم بها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وإذا اعتقد الإنسان أن الله مطلع عليه، يرى أعماله، ويسمع كلامه، فيجب عليه أن يستحيي من الله، فلا يفعل القبيح، ولا يقول السوء، وأن يفكر قبل أن يقول أو يعمل، وأن يتمثل بهذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يومًا
فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفي عليه يغيب

ومرة ثانية يؤكد ربنا سبحانه ملكه للأشياء كلها فيقول: (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ)، كما قال تعالى: (أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) (الشورى: ٥٣)، (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى) (النجم: ٤٢)، (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (العلق: ٨)، (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ) (يونس: ٤).

(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)، كما قال تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) (الزمر: ٥)، وتلك آية من آيات عظمة الله ووحدانيته وكمال قدرته، كما قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) (الفرقان: ٦١، ٦٢)، وقال تعالى: (وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: ٣٧- ٣٩).

(وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) لما ذكر أنه قد أحاط بكل شيء علمًا، خصّ الصدور بالذكر حتى لا يظنّ ظانّ أنه سبحانه أحاط بكل شيء علمًا مما ظهر، لا مما خفي واستقر في الصدور واستتر، كما قال تعالى: (أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (هود: ٥)، وكما قال تعالى: (سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) (الرعد: ١٠)، وقال تعالى: (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك: ١٣، ١٤)، وقال تعالى: (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) (البقرة: ٢٣٥)، فاحذر يا عبد الله أن يطلع الله في صدرك على رياء أو نفاق، واحذر أن يطلع في صدرك على حقد لمسلم أو عداوة له، أو غير ذلك مما لا يرضاه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

باب السنة

ساعة وساعة

«الحلقة الأولى»

أخرج مسلم في «صحيحه» عن حنظلة الأُسيِّدي (وكان من كُتَّاب(١) رسول الله ﷺ) قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذَكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات.

وفي رواية عند الترمذي عن حنظلة: أنه مر بأبي بكر وهو يبكي، فقال: ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة.

بيان بعض المفردات:

- عافسنا: قمنا بحاجة الأزواج والأولاد والمعاش واشتغلنا به.
- الضيعات: جمع ضيعة، وهو ما يكون منه معاش الرجل من مال يتاجر فيه أو حرفة يمتهنها أو صناعة يعمل فيها.
- النفاق: قال الراغب في مفرداته: النفق: الطريق النافذ والسرب في الأرض النافذ فيه. قال تعالى: (فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ) (الأنعام: ٣٥)، ومنه نافقاء اليربوع، وقد نافق اليربوع ونفق، ومنه: النفاق، وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب، وعلى ذلك نبه سبحانه وتعالى بقوله: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (التوبة: ٦٧)، أي الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شرًا من الكافرين، فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) (النساء: ١٤٥).

قال أبو السعادات بن الأثير في النهاية: قد تكرر في الحديث ذكر النفاق، وما تصرف منه اسمًا وفعلاً وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد جحور اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه، وقيل: هو من النفق؛ وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره. وفي حديث حنظلة: (نافق حنظلة) أراد أنه إذا كان عند النبي ﷺ أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها؛ فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه. وفيه: «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها»(٢). أراد بالنفاق هاهنا الرياء؛ لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن. (انتهى كلام أبي السعادات).

الصحابة وخوفهم من النفاق:

قال ابن رجب: لما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية؛ خشي بعضهم على نفسه أن يكون

النفاق الأكبر: هو إظهار الإيمان بالله واليوم الآخر وإبطان ما يناقضه كله أو بعضه !!

بقلم الرئيس العام

إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقًا.

أعلمهم النبي ﷺ أن هذه الحال منهم لا تقتضي بقاءهم على وتيرة واحدة، وأن مثل هذا ليس نفاقًا، لا يكون الرجل منافقًا بأن يكون في وقت على الحضور وفي وقت على الفتور، ففي ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم، وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم.

وقال البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر: وقال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا. وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل، ويُذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق، وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة؛ لقوله تعالى: (وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران: ١٣٥).

قال ابن حجر: إن الحسن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن. وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق.

والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلِّهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجَل من هؤلاء، كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى، رضي الله عنهم. (فتح الباري ج١، ص١٣٦).

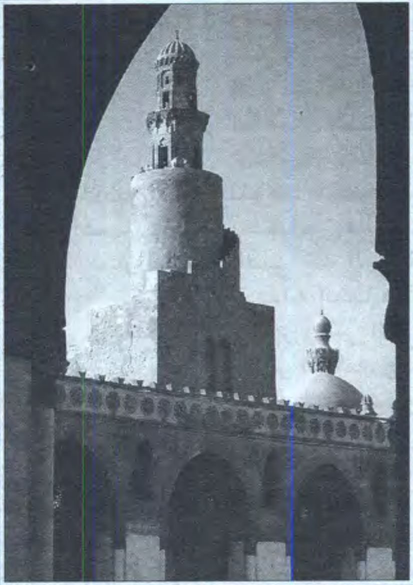

قال البخاري: قال أناس لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم. قال: كنا نعدها نفاقًا.

والنفاق في اصطلاح الشرع ينقسم إلى: أكبر، وأصغر.

النفاق الأكبر- نسأل الله السلامة-: هو إظهار الإيمان بالله واليوم الآخر وإبطان ما يناقضه كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ. وهذا أهله في الدرك الأسفل

من النار.

والنفاق الأصغر: وهو نفاق العمل، وهو يرجع إلى الخصال الخمس:

الأولى: أن يُحَدث إنسانًا بحديث هو له مصدق، بينما هو عليه كاذب.

والثاني: إذا وعد أخلف، وهو على درجتين، أشدهما أن يضمر عند الوعد ألا يفي به. والثانية أن تكون نيته أن يفي ثم لا يفي بغير عذر أصابه.

الثالث: إذا خاصم فجر، وذلك بأن يخرج عن الحق عمدًا حتى يُصيِّر الحق باطلاً والباطل حقًا.

الرابع: إذا عاهد غدر، يدخل في ذلك جميع العقود من المبايعات والمناكحات والنذور، فلا يراعي عقدًا، إنما همه دنياه، يغدر إذا صور له شيطانه أن الكسب الدنيوي في الغدر، ولا يفي إلا إذا ظن أن الكسب الدنيوي في الوفاء.

وقد أمر الله في كتابه بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوها، وعهود المسلمين فيما بينهم شأنها أعظم، والوفاء بها أوجب.

الخامس: خيانة الأمانة.

والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر. فمن أصر على المعصية يخشى عليه أن يسلب الإيمان قبل الموت.

فمن أصر على نفاق المعصية خشي أن يفضي به إلى نفاق الكفر.

ومن أعظم النفاق العملي أن يعمل الإنسان عملاً يُظهر أن قصده به الخير وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض سيئ، ثم إذا تحقق له ما أراد فرح بمكره وخداعه وأسعده حمد الناس له، وقد حكى القرآن عن المنافقين ذلك بقوله سبحانه: (اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبة: ١٠٧).

والنفاق يحبط العمل، وإن كان إحباط النفاق العملي غير إحباط النفاق الأكبر.

قال ابن العربي: الإحباط إحباطان: أحدهما إبطال الشيء للشيء وإذهابه جملة كإحباط الإيمان للكفر والكفر للإيمان، وذلك من الجهتين إذهاب حقيقي. ثانيهما إحباطاً الموازنة إذا جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة. فمن رجحت حسناته نجا، ومن رجحت سيئاته وقف في المشيئة، إما أن يغفر له، وإما أن يعذب، فالتوقيف إبطالٌ ما؛ لأن توقيف المنفعة في وقت الحاجة إليها إبطال لها، والتعذيب إبطال أشد منه إلى حين الخروج من النار. ففي كل منهما إبطال نسبي، أطلق عليه اسم الإحباط مجازًا، وليس هو إحباط حقيقة؛ لأنه إذا أخرج من النار وأدخل الجنة عاد إليه ثواب عمله، وهو بخلاف قول الإحباطية الذين سووا بين الإحباطين وحكموا على العاصي بحكم الكافر، وهم معظم القدرية. (انتهى).

نشأة النفاق والمنافقين:

كان حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ كما وصفه في قوله: «إن اللَّه نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربًا وعجمًا إلا بقايا من أهل الكتاب». فلما بعث النبي ﷺ خرج من أهل المقت طائفة المؤمنين الذين ظهروا بإيمانهم وعملوا به علانية- حتى طغت قريش عليهم تعذيبًا، تكونت طائفة ثالثة هي طائفة المؤمنين الذين يختفون بإيمانهم كل ذلك بمكة، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكانت الدعوة قد سبقته إليها بأهل العقبة ودعوة مصعب بن عمير رضي اللَّه عنهم، كان أهل المدينة مؤمن يظهر إيمانه، وكافر يظهر كفره، وظل الحال كذلك حتى غزوة بدر وظهور المسلمين على المشركين، ونصر الله لهم، فكان يوم الفرقان دخل عبد الله بن أبي بن سلول في الإسلام ظاهرًا مع كفره باطنًا، طلبًا للوجاهة، كما أخرج البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد- في حديث طويل جاء في آخره-: فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أُبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا. (البخاري: ٤٥٦٦).

فكان ذلك أول ظهور النفاق، فكان النفاق في جماعة من أهل المدينة دخلوا في الإسلام طلبًا للوجاهة وحفظًا للنفس والمال، فلما ظهر

الإسلام على البلاد التي حول المدينة ظهر النفاق في بعض الأعراب؛ لذا قال تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ)، ومع أنه ﷺ وأصحابه كانوا لا يعرفونهم على وجه التحديد واليقين، إلا أنه مع التعامل معهم أخذوا يسفرون عما في باطنهم، كما قال تعالى: (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران: ١١٨)، وقال سبحانه: (وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) (محمد: ٣٠).

وقد يسر الله في آخر الغزوات غزوة تبوك التي فضحت المنافقين وكشفتهم، فأما من خرج منهم إلى الغزوة وأرادوا قتل النبي ﷺ، فقد عَرَّفهم لحذيفة بن اليمان وكانوا اثنا عشر رجلاً، وأما الذين تخلفوا عنه فقد اجتمعوا عند رجوعه في المسجد يعتذرون له، وكانوا نحو ثمانين، فعرَّف الله المنافقين لسائر المؤمنين بذلك، وكان حذيفة يمتنع عن الصلاة على من سماهم له رسول الله ﷺ. فلما مات النبي ﷺ ألقى الله على لسان عمر بن الخطاب كلمات هدد فيها الناس وصرخ يهدد المنافقين أن يضرب أعناقهم فاعتزل المنافقون في بيوتهم، فلم يشاركوا في الحياة العلمية ولا العملية للمسلمين؛ لذا فإنه لم ينقل عنهم من الحديث شيء، وإنما نقل عن الصحابة، والصحابة كلهم عدول. والله أعلم.

الصحابة وأثر الموعظة عليهم:

أطلت الكلام عن النفاق لتبرئة الصحابة رضوان الله عليهم، مع شدة خوفهم على أنفسهم، وهم أعلى الأمة إيمانًا، وإنما نال منهم أهل الضلال، ومن أخبثهم الشيعة- لعنهم الله- أما أهل السنة فهم يحبون الصحابة ويترضون عنهم جميعًا، ويسكتون عما شجر بينهم، والأمر يحتاج إلى مزيد تفصيل لا يتسع له المقام.

وإلى العدد القادم إن شاء الله تعالى لنتم الكلام حول حديث حنظلة الذي أخرجه الإمام مسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) كُتَّاب النبي ﷺ:

أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو سفيان بن حرب، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وخالد بن الوليد، وأبان بن سعيد بن العاص، وأبي بن كعب، والأرقم بن أبي الأرقم، وبريدة بن الحصيب، وثابت بن قيس بن شماس، وجهيم بن الصلت، وجهيم بن سعد، وحنظلة بن الربيع، وحويطب بن عبد العزى، والحصين بن عمير، وحاطب بن عمر، وحذيفة بن اليمان، وخالد بن زيد، وخالد بن سعيد بن العاص، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول، وعبد الله بن رواحة، وعبد الله بن زيد، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن أسد، والعلاء بن الحضرمي، والعلاء بن عقبة، وعبد العزيز بن خطل (ارتد)، ومحمد بن مسلمة، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعيقيب بن أبي فاطمة، والمغيرة بن شعبة.

(٢) حديث: «أكثر منافقي أمتي قراؤها» أخرجه أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر وغيرهما، وسنده صحيح، والمعنى ما يقع من الرياء- كما ذكر ابن الأثير فيما نقلناه- ويوضح ذلك حديث عقبة بن عامر عند أحمد مرفوعًا: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة». قال الترمذي: ومعنى هذا الحديث أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن؛ لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية. وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب؛ لأن الذي يسر بالعمل لا يخاف عليه العجب ما يخاف عليه من علانية. (انتهى كلام الترمذي).

ولما كان معلم القرآن لابد أن يجهر به ليعلم الناس ويسمعهم حذر النبي ﷺ من دخول النفاق عليه بقوله: «أكثر منافقي أمتي قراؤها» ليراقب نفسه فيخلص عليه لا ليمتنع عن التعليم لشدة حاجة الناس إليه ولعظم درجته عند الله. فالحديث فيه الوصية للقراء ودعوتهم للإخلاص حتى لا يضيع الأجر العظيم المعد لهم. والله أعلم.

وسائل الفلاح

بقلم د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.. أما بعد.. فقد خلق اللَّه الإنسان واستخلفه في الأرض، وحمَّله أمانة التكليف ليختبره ويبلوه ليميز الله الخبيث من الطيب: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك: ١، ٢). والناس بعد هذا التكليف والاختبار قسمان: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (الشورى: ٧)، (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ. وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (هود: ١٠٥- ١٠٨).

ولهذا كان الفلاح والنجاح والسعادة في الدنيا والآخرة في النجاة من النار والفوز بالجنة: (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران: ١٥٨).

وقد سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة. فقال للرجل: «أتدري ما تمام النعمة؟» فقال الرجل: دعوة دعوت بها أرجو بها الخير. فقال النبي ﷺ: «فإن من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار». رواه الترمذي وحسنه.

وأكثر الناس يتعرضون لنعم الله التي لا تحصى في الدنيا ويعرضون عن تمام النعمة والعافية فيبوءون بالخسران المبين: (وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر: ١- ٣).

أسباب النجاة والفوز!!

ولهذا أمرنا النبي ﷺ أن نتعرض لأسباب النجاة والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، وأن نتجنب أسباب الهلاك والخسران، ونسأل الله العافية من كل سوء، فقال ﷺ: «اسألوا اللَّه العفو والعافية، فإن أحدًا لم يُعط بعد اليقين خيرًا من العافية». الترمذي وابن ماجه وأحمد بسند صحيح.

وقال ﷺ: «فإنك إن أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت». الترمذي وحسنه.

الحرص على ما ينفع المؤمن !!

لأجل هذا يجب على كل عاقل فطن أن يأخذ بأسباب الفلاح والنجاح والفوز بالجنة والنجاة من النار، وهذا هو مقصد كل مؤمن قوي يحرص على ما ينفعه في دنياه وآخرته، مستمدًا العون والتوفيق من الله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان». مسلم.

أسباب الفلاح والسعادة !!

ولكن ما هي أسباب الفلاح والسعادة لنجنيها:

أولاً: الإيمان أعظم وسائل الفلاح:

قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: ١- ١١).

فانظر إلى صفات المؤمنين في هذه الآيات وفي غيرها يتبين لك طريق الفلاح والفوز بالجنات العلى والخلود فيها، ولهذا قال الله سبحانه عن عباده المؤمنين: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (البقرة: ٣- ٥).

فلا فلاح بغير الإيمان، ولا وسيلة أعظم من الإيمان، فعليه تقوم العبادة، وبغيره لا تصح عبادة ولا تُقبل قربة، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يبقى في النار إلى من لم يستقر في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان.

ابتغاء الوسائل التي توصل إلى الجنة !!

ولهذا أمر الله المؤمنين بابتغاء الوسائل التي توصل إلى الجنة ولم يأمر غير المؤمنين بتحصيلها؛ لأنهم بدون الإيمان لا يحققون فلاحًا ولا نجاحًا ولا يبوعون إلا بالخسران المبين. قال تعالى: (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (المؤمنون: ١١٧). وقال تعالى: (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) (المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣). وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ) (النحل: ١١٦).

ثانيًا: التقوى من وسائل الفلاح:

أما المؤمنون فينادي عليهم ربهم آمرًا إياهم بالتقوى. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: ٣٥)، وقال: (فَاتَّقُواْ اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: ١٠٠). وقال تعالى: (وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (البقرة: ١٨٩).

وجماع التقوى أن تفعل ما أمر به الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك ما حرم الله على نور من الله، تخاف من عذاب الله، فتترك الربا والخمر والميسر وكل ألوان الحرام. قال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٣٠). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: ٩٠).

ثالثًا: ذكر الله من وسائل الفلاح:

ومن أعظم وسائل الفلاح ذكر الله تعالى، فإنه من أفضل وأيسر العمل الصالح. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ

اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ) (الأنفال: ٤٥). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج: ٧٧). وقال: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠).

وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ذكر الله». رواه ابن ماجه وأحمد.

وقال معاذ بن جبل: ما عمل امرؤ بعمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله.

ولهذا كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه. رواه مسلم.

وقال للأعرابي الذي شكى كثرة الشرائع، فقال: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأنبئني منها بشيء أتشبث به. فقال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل». رواه ابن ماجه.

رابعًا: الجهاد في سبيل الله من أعظم وسائل الفلاح:

قال تعالى: (وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: ٣٥)، وهذا يشمل جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين.

مراتب جهاد النفس!!

وأما جهاد النفس فعلى مراتب:

١- أن يجاهد الإنسان نفسه على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

٢- أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

٣- أن يجاهدها في الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى، ولا ينفعه علمه، ولا يُنجيه من عذاب الله.

٤- أن يجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الرَّبَّانيينَ، فإن السلف مُجمعُونَ على أن العالم لا يستحق أن يُسمى ربانيًا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويُعَلِّمَه، فمن علم وعَمِلَ وعلَّمَ فذاكَ يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات.

وأما جهاد الشيطان، فمرتبتان:

إحداهما: جهادُه على دفع ما يُلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهادُ الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر. قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة: ٢٤)، فأخبر أن إمامة الدين، إنما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهواتِ والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوكَ والشبهات.

وأما جهادُ الكفار والمنافقين، فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهادُ الكفار أخصُّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم، والبدع، والمنكرات، فثلاث مراتب: الأولى: باليدِ إذا قَدرَ، فإن عَجَزَ، انتقل إلى اللسان، فإن عجز، جاهد بقلبه، فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد، و«من مات ولم يغز ولم يُحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق». اهـ. «زاد المعاد».

خامسًا: الصبر والمثابرة من أعظم وسائل الفلاح:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: ٢٠٠)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)، والصبر على أنواع.

أولاً: صبرٌ على طاعة الله.

وهذا يكون بالحرص على الطاعة والمداومة

عليها والإخلاص لله تعالى فيها، وإيقاعها على مقتضى العلم بمتابعة سنة النبي ﷺ.

ثانيا: صبر عن معصية الله:

وهذا يكون بالخوف من عقاب الله، والحياء من الله تعالى أن يراه الله على معصية، فلا يستهين العبد بنظر الله إليه ويستفيد العبد من ذلك الإبقاء على الإيمان، والحرص على زيادته؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والحذر من الحرام فيترك الشبهات، بل ويصبر على الكثير من المباحات حذرًا من الوقوع في الحرام.

ثالثا: صبر على البلاء:

والبلاء قسمان: نعمٌ يحبها العبد، ومصائب يكرهها العبد.

فيشكر الله على فضله ونعمه، ويصبر على بلائه وقضائه، ويستعين على ذلك بملاحظة حسن الجزاء وانتظار روح الفرج، وتهوين البلاء بتذكر صنوف النعم، وفي هذا يكون البلاء كله خير.

قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيرًا له». مسلم.

سادسا: التوبة من الذنوب والخطايا سبيل أهل الفلاح:

قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور: ٣١).

وقال تعالى: (وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)، (فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) (القصص: ٦٧)، فمن تاب من الذنوب وصدق الله في توبته تاب الله عليه، وبدل سيئاته حسنات، وكان على رجاء الفلاح والنجاح والفوز بالجنة والنجاة من النار، ومن لم يتب فهو من الظالمين.

ولهذا كان النبي ﷺ يحرص على التوبة ويحث عليها بقوله: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». البخاري.

سابعا: الإنفاق في سبيل الله من أعظم وسائل الفلاح:

فالإنسان بطبعه شحيح يضن بما رزقه الله، فلا ينفق إلا على هواه، والمؤمن الفطن يعلم أن المال مال الله، استخلف العبد فيه، فينفق من مال الله، يبتغي بذلك وجه الله، ويرجو ثواب الله، ويهذب نفسه الأمارة بالسوء، حتى تطمئن لحكم الله. قال تعالى: (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩).

وقال تعالى: (فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الروم: ٣٨).

ثامنا: ومن أسباب الفلاح أن يرجع العبد المؤمن في أقواله وأفعاله وتعاملاته إلى شرع الله، وأن يتحاكم إليه عند النزاع.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (النساء: ٥٩)، وقال تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النور: ٥١).

هذه بعض وسائل الفلاح المذكورة في القرآن الكريم، وهي بمثابة المنهاج والدستور الذي يعتصم به المؤمنون والمفلحون، ويوالون من اعتصم به، ويعادون من أعرض عنه، ولو كان من أقرب الناس إليهم.

قال تعالى: (لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة: ٢٢).

والله ولي التوفيق.

لك اللهُ ياقدسُ

شعر:
زكريا عبد المحسن

النَّفْسُ بالنَّفْسِ شَرْعُ الذِّكْرِ نَتْلُوهُ
والحقُّ دَيْنٌ عَلَى الأحرارِ فَاقْضُوهُ
لا تُدْبِرُوْا مِنْ عَدُوٍّ دَاسَ مَوْطِنَنَا
هِيَّا إلى ساحةِ الْهَيْجَاءِ فَارْمُوهُ
هُمُ اليَهُوْدُ مَدَى الأَزْمَانِ لَعْنَتُهُمْ
عَاثُوا فَسَادًا وَعَهْدُ اللَّهِ خَانُوهُ
انْظُرْ إلى عَهْدِهِمْ لِلْمُصْطَفَى نَقَضُوْا
وَقَادَهُمْ مَكْرُ شَيْطَانٍ أطَاعُوهُ
ماذا يُقالُ عن التَّوْحِيدِ رَايَتِنَا؟
غَيْظٌ يُخَالِطُهُمْ فَالْغَيُّ يَأْتُوهُ
مُوْتُوْا بِغَيْظِكُمُوْ فَالنُّورُ مُؤْتَلِقٌ
يَهْدِي الْوَرَى وَجَمِيعُ الْخَيْرِ يَجْنُوهُ
فَأَيْنَ هَيْكَلُكُمْ هذا الَّذِي ذَهَبَتْ
أَطْلالُهُ وأتَى القُرْآنُ يَتْلُوهُ؟
القدسُ في القلبِ والأشواقُ تُلْهِبُنَا
والْوَجْدُ يَكْوِي الحَشَا فَالسِّلْمَ أَلْقُوهُ!!
فَهَلْ رَأَوْا مَقْتَلَ الأطفالِ يُسْعِدُهُمْ؟!
فالحقُّ يَصْرُخُ.. رَبَّاهُ وَيَدْعُوهُ!
هذا هو المسجدُ الأقصى يُعَاتِبُنَا
هَذِي القُرُودُ لِرَوضِ الطُّهْرِ دَاسُوهُ!!
أيْنَ الأَوَالِيْ وَسَيْفُ الحَقِّ يَرْفَعُنِيْ؟
تَعْلُوْ المَهَابَةُ فَوقَ الْقُدْسِ فَارْوُوهُ
مِنْ كُلِّ عِزٍّ لَنَا وَامْلُوْا مَقَالَتَكُمْ
إنَّ العدوَّ بِمَكْرٍ جَاءَ فَاسْقُوهُ
مَا عَادَ خَيْرٌ بُعَيْدَ القُدْسِ يُفْرِحُنَا
فَلَنْ يَضِيْعَ حِمًى، فَالْعُرْبُ عَلُّوهُ
للقُدْسِ رَبٌّ فَيَحْمِيهَا بِقُدْرَتِهِ
هُوَ القَوِيُّ وَذُو الإِكْرَامِ فَارْجُوهُ
عَسَى الإلَهُ يُعِيْدُ المَجْدَ ثَانِيَةً
لأُمَّةِ المُصْطَفَى بِالْفَضْلِ تَعْلُوهُ
هَيَّا جُنُوْدَ الهُدَى ضُمُّوا صُفُوْفَكُمُ
نَحْوَ العُلاَ وسِتَارَ البَيْنِ أَلْقُوهُ

بحث في دعاء الاستخارة

بقلم الشيخ: مصطفى العدوي

أخرج البخاري حديث الاستخارة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: وفيه: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن قال: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري- أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري- أو قال: عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته».

- وقد استخارت أم المؤمنين زينبُ بنت جحش رضي الله عنها عندما تقدم لها رسول الله ﷺ(١)، وها هو الحديث بذلك:

أخرج الإمام مسلم (٥٩٦/٣) في «صحيحه» من حديث أنس رضي الله عنهما قال: لما انقضت عدةُ زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فاذكرها عليَّ»، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها. قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي. فقلت: يا زينب أرسَلَ رسولُ الله ﷺ يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن. وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال: فقال: ولقد رأيتنا أنا وَرسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتتبع حُجَر نسائه يسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه فألقي الستر بيني وبينه ونزل الحجاب. قال: ووعظ القوم بما وعظوا به.

والاستخارة دعاءٌ، فلا مانع من تكرارها، وها هو ابن الزبير يستخير ربه ثلاثًا.

أخرج مسلم (ص٩٧٠) من طريق عطاء قال: لما احترقَ البيتُ زمنَ يزيدَ بن معاوية، حين غزاها أهلُ الشام، فكان من أمره ما كان، تركهُ ابنُ الزبير. حين قَدِمَ النَاسُ الموسم. يريدُ أن يُجَرِّئَهُمْ (أو يُحَرِّبَهُمْ) على أهل الشام. فلما صدرَ الناسُ قال: يا أيها الناسُ، أشيروا عليَّ في الكعبة. أنْقُضُها ثم أبني بناءها. أو أصلح ما وهى منها؟ قال ابن عباس: فإني قد فُرِقَ لي رأيٌ فيها. أرى أن تُصلْحَ ما وهى منها، وتدع بيتًا أسلم الناسُ عليه، وأحجارًا أسلمَ الناسُ عليها، وبُعِثَ عليها النبي ﷺ. فقال ابنُ الزبير: لو كان أحدكُمُ احْتَرَقَ بيته، ما رَضِيَ حتى يُجِدَّهُ، فكيف بيتُ ربكم؟ إني مستخيرُ ربي ثلاثًا، ثم عازِمٌ على أمري. فلما مضى الثلاث أجمع رأيهُ على أن ينقضها. فتحاماهُ الناس أن ينزل بأول الناس يصعدُ فيه، أمرٌ من السماء. حتى صعدهُ رجلٌ فألقى منه حجارةً، فلما لم يره الناسُ أصابه شيء

بحثٌ في دعاء الاستخارة

تتابعوا، فنقضوهُ حتى بلغوا الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدةً. فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤهُ.

وهذه فوائد تتعلق بمسألة الاستخارة:

- صلاة الاستخارة مستحبة وليست بواجبة، ودليل ذلك قول النبي ﷺ: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل...» ولقول النبي ﷺ للأعرابي- لما قال له: «خمس صلوات في اليوم والليلة»، فقال الأعرابي: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع».

- على ذلك يجوز أن تكون الاستخارة بعد ركعتي تحية المسجد، أو بعد نافلة الصبح، أو الظهر، أو العصر، أو المغرب، أو بعد صلاة الليل، أو الضحى، أو غير ذلك؛ وذلك إن نوى أن يستخير عقب تلك الصلوات.

- والاستخارة إنما تكون في المباحات، ولا تكون في المستحبات، ولا الواجبات، وكذلك لا تكون في المكروهات ولا المحرمات.

فلا يستخير رجلٌ مثلاً كي يصلي الظهر، ولا لأن يصلي نافلة الظهر، ولا يستخير لصوم رمضان، ولا لصوم الاثنين والخميس، ونحو ذلك، وكذلك لا يستخير للشرب قائمًا، ولا يستخير كي يسرق.

ولا يستخير في أصل الزواج؛ لأن اللَّه عز وجل أمر بالزواج، فقال: (وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ)، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج». ولكن إن استخار في أمر الزواج يستخير في التي يتزوجها، ويستخير في وقت الزواج، وأهل العروس، ونحو ذلك.

وكذلك يُستخار في الواجبات التي وقتها موسع (كالحج عند من يرى أنه يجب على التراخي)، وهذا عند بعض أهل العلم بمعنى أنه يستخير هل يحج هذا العام أو الذي يليه.

- وكذلك يجوز أن يُستخار في المستحبات عند تواردها وتعارضها، فمثلاً أراد رجل أن يتطوع بعمرة، وبدا له أن يذهب لمكان آخر لتعلم العلم الشرعي لخدمة دينه وأهل بلده، فيجوز له حينئذ أن يستخير، واللَّه تعالى أعلم.

وإنما قيدنا بهذه التقييدات مع قول جابر رضي اللَّه عنه: (كان رسول اللَّه ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها)؛ لأنه لم يرد لنا أن النبي ﷺ استخار في واجب أو مستحب أو مكروه أو محرم، بل وفي بعض المباح لم يرد لنا أن النبي ﷺ استخار فيه. ففي قصة زواجه عليه السلام من جويرية بنت الحارث لم يرد لنا أنه عليه الصلاة والسلام استخار، وكذلك في حديث الواهبة قال له صاحبه: إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها يا رسول الله، إلى غير ذلك من الوقائع، وأيضًا فلفظ (كل) قد لا يفيد العموم في بعض الأحيان، كما في قول الله تبارك وتعالى: (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)، وفي قوله تعالى: (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ)، وفي قول عائشة رضي اللَّه عنها: (كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان كله) مع قولها: (ما صام رسول الله ﷺ شهرًا كاملاً غير رمضان).

- ثم إن دعاء الاستخارة إنما يكون بعد الصلاة، وليس بداخلها؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك...» الحديث.

ولا أعلم مستندًا صحيحًا لمن قال: إنه في السجود أو عقب التشهد، إلا العمومات التي تفيد أن السجود وبعد التشهد مواطن دعاء، ولكن النص في دعاء الاستخارة صريح في كون الدعاء عقب الصلاة.

- وقال بعض أهل العلم: إنه يُقرأ في الأولى من ركعتي الاستخارة بـ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، وفي الثانية بـ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، ولا أعلم لهم مستندًا على ذلك، بل أراهم تحجروا واسعًا.

- وقال البعض أيضًا: إنه يصلي على النبي

ﷺ ويحمد الله عز وجل بين يدي الاستخارة وعقبها، ولم أقف على شيء ثابت في هذا بشأن دعاء الاستخارة، والصلاة التي تقدمت دعاء الاستخارة قد تضمنت حمدًا لله وصلاة وسلامًا على رسول الله ﷺ.

والاستخارة إنما تكون إذا أراد أحدٌ أمرًا من الأمور، وليست في كل الخواطر التي تخطر على البال، فالخواطر تخطر ولا تستمر، ورسول الله ﷺ لم يَرِد عنه أن استخار في الخواطر التي تخطر، وقد قال في الحديث: «إذا هم أحدكم بالأمر»، إذ لو استخار الشخص في كل الخواطر لضاعت عليه أوقاته.

- ودائمًا نراعي أن يكون نصب أعيننا فعل النبي ﷺ مع قوله ﷺ، فأفعاله تفسر أقواله، وكذلك أفعال أصحابه رضي اللهُ عنهم تُفسر قوله عليه الصلاة والسلام، إذ هُم خير الناس، وخير القرون، وأفهم الناس لمراد نبيهم ﷺ؛ إذ هو عليه الصلاة والسلام قد بُعث فيهم، وقد خرج نبينا ﷺ لأعمال برٍّ كثيرة كعيادة مرضى، وإجابة دعوة، وزيارة قبر، ووصل رحم، وقضاء حوائج المسلمين، وإصلاح بين الناس، و...، ولم يرد أنه ﷺ استخار في شيء من ذلك.

وكذلك إذا تمكن الأمر من شخص فرغب في أمرٍ من المباحات رغبة تامة وجاء يستخير في الأمر عليه أن يضم إلى الاستخارة بحث الأمر من جوانبه المتعلقة به واستشارة أهل الرأي والدين في أمره خشية أن تكون الاستخارة تحصيل حاصل.

- وعليه أن يُخلِص لله عز وجل في دعاء الاستخارة، كما يخلص لله عز وجل في سائر الدعوات، فإن اللهَّ عز وجل يقول: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)، والدعاء عبادة، ويقول سبحانه: (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)، ويقول سبحانه: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)، إلى غير ذلك من الآيات.

- ولا بأس بتكرير صلاة الاستخارة؛ إذ الغرض منها الدعاء، والإكثار من الدعاء مستحب، والنبي ﷺ سُحر فدعا ودعا ودعا، وكان يقول في صلاة الاستسقاء: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»، ودعا النبي ﷺ يوم بدر، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، إلى غير ذلك.

- وليس في حديث الاستخارة أن الشخص يرى رؤيا عقبها، أو لا يرى، أو ينشرح صدره، أو لا ينشرح، ولم أقف عليها في حديث صحيح. فقد يرى الشخص رؤيا، وقد لا يرى، وقد ينشرح الصدر، وقد لا ينشرح، وقد يرى رؤيا وتكون حديثًا للنفس. فمثلاً رجل مولعٌ بامرأة فتكثر رؤياه فيها، فيتصور أن كل ما يرد في شأنها إنما هو من الله من المبشرات، فقد تكون من الله، وقد تكون حديثًا للنفس، ومن المعلوم أن الرؤيا على ثلاثة أقسام: رؤيا من الله، وحديث للنفس، وتخويف من الشيطان.

وعلى كل فالاستخارة عبادة يؤديها الشخص ويطمئن قلبه بعدها؛ إذ هي ذكرٌ لله، وبذكر الله تطمئن القلوب. فعلى أي الوجوه جاء الأمر (سواء الذي يحبه الشخص أو الذي يكره) عليه أن يكون راضيًا بقدر الله.

وهناك أمور بدهية لا تحتاج إلى استخارة، فإذا تقدم لامرأة رجلٌ خمَّار، أو فاسق من الفساق، أو مفرط في دين، فعليها أن ترفضه ابتداءً، وهذا ليس فيه استخارة، وكذلك لا يعمد رجل إلى الاستخارة للزواج من امرأة فاسقة. واللهَّ تعالى أعلم.

---

(١) وتصوري لاستخارتها؛ لكونها قد لا تؤدي لرسول الله ﷺ حقه فيتضاعف الإثم في حقها.

تحذير الداعية من القصص الواهية ١٠

بقلم الشيخ: علي حشيش

قصة الوفاء بالنذر

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ :

«مرض الحسن والحسين رضي اللَّه عنهما، فعادهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي اللَّه عنهما، وما كاد يستقر بهما المقام حتى وضع رسول الله ﷺ الحسن على إحدى فخذيه، والحسين على الفخذ الأخرى، وأخذ يقبلهما ويدعو لهما بالشفاء، والطفلان في بهجة مبهجة بحنان جدهما ورقته، ولم يلبث الجالسون إلا قليلاً حتى قال عمر بن الخطاب للإمام علي: يا أبا الحسن، انذر إن عافى الله عز وجل ولديك أن تحدث لله شكرًا، فقال علي: إن عافى الله ولديّ صمت لله ثلاثة أيام شكرًا، وقالت فاطمة: وأنا أصوم ثلاثة أيام شكرًا لله، وقالت الجارية واسمها فضة: وأنا أصوم ثلاثة أيام، فأصبحوا قد مسح الله ما بالغلامين فهم صيام، فليس عندهم قليل ولا كثير، فانطلق علي إلى رجل من اليهود، فقال له: أسلفني ثلاثة آصع من شعير، وأعطني جزة صوف تغزلها لك بنت محمد ﷺ، فأعطاه فاحتمله عليّ تحت ثوبه، ودخل على فاطمة رضي اللَّهُ عنها، وقال: دونك فاغزلي هذا، وقامت الجارية إلى صاع من الشعير فطحنته وعجنته فخبزت منه خمسة أقراص، وصلى عليّ رضي اللَّه عنه المغرب مع النبي ﷺ، ورجع فوضع الطعام بين يديه وقعدوا ليفطروا، فإذا بمسكين بالباب يقول: يا أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين على بابكم أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة، فقام الإمام علي وأعطاه الأرغفة الخمسة، واكتفى هو وأسرته بتناول الماء، وحدث في اليوم الثاني نفس ما حدث في اليوم الأول، وقامت فاطمة رضي اللَّه عنها إلى صاع فطحنته وعجنته فخبزته خمسة أرغفة، وصلى عليّ رضي اللَّه عنه مع النبي ﷺ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم، فوقف بالباب يتيم، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة، فأعطوه الأرغفة الخمسة، ومكثوا

يومين وليلتين لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح، فلما كان في اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباقي فطحنته وعجنته وخبزته وصلى عليّ رضي الله عنه مع النبي ﷺ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه؛ إذ أتاهم أسير فوقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد أسير أطعموني، فأعطاه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهن لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح، فلما كان اليوم الرابع وقد مضى لله بالنذر أخذ عليّ رضي الله عنه بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم رسول الله ﷺ قال: يا أبا الحسن، ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها، وقد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع، فلما رآها رسول الله ﷺ وعرف المجاعة في وجهها، بكى وقال: واغوثاه، يا الله أهل بيت محمد يموتون جوعًا، فهبط جبريل وقال: السلام يقرئك السلام يا محمد، ويقول: خذ هنيئًا في أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبريل، فأقرأه قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا. مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا. وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً. وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا. قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا. وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً. عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا. وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا. عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا. إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا) (الإنسان: ٧-٢٢)».

قلت: وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق، راجيًا من الله تعالى أن يجد القراء الكرام نموذجًا صالحًا للنقد العلمي النزيه القائم على البحث والالتزام بالقواعد العلمية الصحيحة؛ لأنها من القصص التي يرددها القصاص والوعاظ على المنابر.

١- فهذه القصة الواهية: أخرجها ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٣٩٠)، حيث قال: أنبأنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن عبد الرحمن البيع، قال: أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد السقطي قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق، أنبأنا عبد الله بن ثابت، حدثنا أبي عن الهذيل بن حبيب عن أبي عبد الله السمرقندي، عن محمد بن كثير الكوفي، عن الأصبغ بن نُباتة قال: فذكره.

٢- قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٣٩٢): هذا حديث لا يُشك في وضعه.

٣- قلت: وهذا الحكم من ابن الجوزي بوضعه لم يخالف فيه، يتبيَّن ذلك من القاعدة الهامة التي أوردها ابن عراق في «تنزيه الشريعة».

القاعدة

قال ابن عراق في مقدمة «تنزيه الشريعة» (١/٣، ٤): «وجعلت كل ترجمة غير كتاب المناقب في ثلاثة فصول:

الأول: فيما حكم ابن الجوزي بوضعه ولم يخالف فيه.

الثاني: فيما حكم بوضعه وتعقب فيه.

الثالث: فيما زاده السيوطي على ابن الجوزي.

أما كتاب المناقب ففيه أبواب، وفي كل باب منها الفصول المذكورة». اهـ.

٤- قلت: وبتطبيق هذه القاعدة على هذه القصة يتبين الآتي:

أ- القصة تقع في «تنزيه الشريعة» (١/٣٦٢، ٣٦٣).

ب- القصة في «كتاب المناقب».

جـ- باب مناقب الخلفاء الراشدين.

د- الفصل الأول حديث رقم (٦٧).

الاستنتاج: بما أن القصة تقع في الفصل الأول، إذن فهي ممًا حكم ابن الجوزي بوضعه ولم يخالف فيه.

٥- وقد يغيب عن بعض القراء معنى: «حديث موضوع».

فالموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع. ورتبته: هو شر الضعيف وأقبحه. وحكم روايته: تحرم روايته مع العلم بوضعه، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مع بيان وضعه؛ كَذِكرنا هذه القصة في هذه السلسلة؛ سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» لتحذير الناس منها.

كذا في «التدريب» (١/٢٧٤).

٦- وإلى القارئ الكريم أسباب الحكم على هذه القصة بالوضع.

أولاً: أصبغ بن نباتة الحنظلي المجاشعي الكوفي: قال أبو بكر بن عياش: كذاب، ذكره الذهبي في «الميزان» (١/٢٧١).

وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/١٧٤): هو ممن فتن بحب علي بن أبي طالب، أتى بالطامات في الروايات؛ فاستحق من أجلها الترك.

وقال الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (١١٨): «أصبغ بن نباتة كوفي منكر الحديث»، وقال يحيى بن معين: «الأصبغ بن نباتة ليس حديثه بشيء». رواه ابن عدي في «الكامل» (١/٤٠٧)، وقال : «بيِّن الضعف».

وقال أبو بكر بن عياش: الأصبغ بن نباتة وهيثم هؤلاء كلهم كذابون. رواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/١٣٠/١٦٠)، وقال العقيلي: كان يقول بالرجعة. وقال الساجي: منكر الحديث. ذكره ابن حجر في «التهذيب» (١/٣١٧)، وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٦٤): متروك الحديث.

قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له معناه، حيث يقول: لا يترك الرجل عندي حتى يجتمع الجميع على تركه. كذا في «شرح النخبة» (ص ٦٩).

ملحوظة هامة جدًا: قد يظن البعض أنني أسهب في بيان مرتبة رواة القصة، ولا يدري أنني أمام قصة قد اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، بل قد نشرتها جريدة «اللواء الإسلامي» في عددها (٥٠٣) في الصفحة (٢٠)، تحت عنوان: «مع أهل الله» قصة الوفاء بالنذر، وقال كاتب هذه القصة: إنها قصة رواها ثقات أفاضل ومؤرخون على

أعلى درجة من صدق الكلمة وثبوت الرواية. اهـ.

قلت: ونحن كما عودنا القارئ الكريم أننا نقدم بحوثًا علمية حديثية بها يتبيَّن حقيقة رواة هذه القصة، وقد تبيَّن للقارئ حقيقة أصبغ بن نباتة.

ثانيًا: محمد بن كثير القرشي الكوفي أبو إسحاق:

قال البخاري في «التاريخ» (٢١٧/١/١): محمد بن كثير الكوفي منكر الحديث. وقال ابن عدي في «الكامل» (٢٥٣/٦- ١٧٣١/١١٠): منكر الحديث. وقال ابن المديني: كتبنا عنه عجائب وخططت على حديثه. ذكره الذهبي في «الميزان» (١٧/٤).

وقال الساجي: متروك الحديث. ذكره ابن حجر في «اللسان» (٣٩٨/٥)، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢٨٧/٢): كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات التي إذا سمعها مَن الحديث صناعته علم أنها معمولة أو مقلوبة، لا يحتج به بحال.

وقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديثه ولم نرضه. رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦٨/١/٤)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٢٩/٤)، وأورده الذهبي في «الميزان» (١٧/٤)، وابن حجر في «اللسان» (٣٩٧/٥).

ثالثًا: أبو عبد الله السمرقندي:

قال فيه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٩٢/١): أبو عبد الله السمرقندي، فلا يوثق به.

رابعًا: الحديث مرسل، أرسله كذَّاب كما في «تنزيه الشريعة» (٣٦٢/١)، حيث أورد ابن عراق القصة، وقال: حديث الأصبغ بن نباتة مرسلًا.

قلت: وسبب حكم ابن عراق على الحديث بالإرسال:

أ- المرسل: هو ما سقط من آخره من بعد التابعي. انظر «شرح النخبة» (ص ٣٧).

ب- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٨١/١): أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي، الكوفي يكنى أبا القاسم متروك رمي بالرفض من الثالثة. اهـ.

جـ- وبما أن الثالثة: هي الطبقة الوسطى من التابعين، كما في مقدمة «التقريب» (٥/١). إذن حديث الأصبغ بن نباتة مرسل.

قلت: من هذا التطبيق يتبين أن القصة مردودة:

أ- بالطعن في الرواة.

ب- بالسقط في السند.

طريق آخر للقصة

قلت: وللقصة طريق آخر: أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، كما في «اللآلئ المصنوعة» (٣٧١/١)، قال السيوطي: قال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: ومن الحديث الذي تنكره القلوب حديث رواه: ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان: ٧، ٨)، ثم ذكر القصة في ستة وخمسين سطرًا، ثم ختمها بقول الحكيم الترمذي: «هذا حديث مفتعل».

قلت: وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥٣٨/٤) على أن هذا الحديث مفتعل وبين أن علته: (قاسم بن بهرام) تراجم (٦٦٢٥/٨).

وقال: هو صاحب الحديث الطويل في نزول قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ). قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/٣٦٣): قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» في ترجمة القاسم بن بهرام قاضي هَيْت: إنه صاحب هذا الحديث، يعني: مفتعله.

قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢١٤): القاسم بن بهرام أبو هَمْدان شيخ كان على القضاء بهيت، يروي عن أبي الزبير العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

قال ابن عدي في «الكامل» (٧/٢٩٤): أبو همدان كذاب.

قلت: وبالرجوع إلى «اللسان» (٤/٥٣٨) للحافظ ابن حجر وإلى ما نقله السيوطي في «اللآلئ» (١/٣٧١) عن الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وبالمقارنة تظهر علة هذا الطريق:

أ- قال السيوطي في «اللآلئ» (١/٣٧١): قال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: ومن الحديث الذي تنكره القلوب حديث رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ).

قلت: بهذا القدر من السند لم تظهر العلة.

ب- وبالرجوع إلى «اللسان» (٤/٥٣٨) قال الحافظ ابن حجر في ترجمة: قاسم بن بَهْرَام: وهو صاحب الحديث الطويل في نزول قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) أورده الحكيم الترمذي في أصوله، وقال: إنه مفتعل. ثم ذكر أنه في تفسير الثعلبي.

قاعدة

والطريق الذي أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» لا يزيد الطريق الذي أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» إلا وهنًا على وهن، ولكن الكثير ممن لا دراية لهم بدقيق فقه أصول الحديث يظنون أن تعدد الطرق يقوي الخبر مطلقًا، ولكن نذكر بهذه القاعدة التي أوردها الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص ١٠٧)، والتي قال فيها: لعل الباحث الفَهِم يقول: إنَّا نجد أحاديث محكومًا بضعفها مع كونها قد رُوِيت بأسانيد كثيرة من وجوهٍ عديدة...، فهلا جعلتم ذلك من أنواع الحسن؛ لأن بعض ذلك عضد بعضًا، كما قلتم في نوع الحسن على ما سبق آنفًا؟

وجواب ذلك، أن ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت:

أ- فمن ضعف يُزيله ذلك، بأن يكون ضعفه ناشئًا من ضعف حفظ راويه مع كونه من أهل الصدق والديانة، فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر، عرفنا أنه مما قد حفظه، ولم يختل فيه ضبطه له، وكذلك إذا كان ضعفه من حيث الإرسال، زال بنحو ذلك، كما في المرسَل الذي يُرْسِلُه إمامٌ حافظ إذ فيه ضعف قليل، يزول بروايته من وجه آخر.

ب- ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبرِه ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب أو كون الحديث شاذًا.

قلت: ثم ختم ابن الصلاح هذه القاعدة العظيمة بقوله:

وهذه جملة تفاصيلها تُدْرَك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة. اهـ. هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

العلمانية ووجهها القبيح!!

بقلم الشيخ:
أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن من أخطر الفرق في زماننا الراهن على الإسلام وديار المسلمين: العلمانية.

والعلمانية نتاج أوربي خالص، وتنسب إلى شعبة خاصة من شعب العلم، ألا وهو العلم المادي المحسوس؛ ولذلك فهي بكسر العين، وليس بفتحها كما يتردد على السنة الكثير.

ونظرًا لخطورة العلمانية على العقيدة والشريعة جاء هذا البحث ليبين عقيدة العلمانية وشريعتها، ونقضًا لكل المبادئ وخطورتها.

أولا عقيدة العلمانيين:

تسيطر العلمانية الآن على العقل الأوروبي الحديث، ليس هذا فحسب، بل امتدت لتحتل مساحة عند بعض مفكري المسلمين في ديارهم من دعاة التنوير وأرباب حرية الفكر وأدعياء التجديد والتنوير والفكر، والتجديد منهم براء.

ونظرًا لأن العلمانية لا تؤمن إلا بالمحسوس المشاهد، فهي تقف من الدين موقف العداء المطلق؛ لأن الدين يأمر بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وتلك الأركان مصدرها الوحي، والعلمانية ترفض الوحي جملة وتفصيلاً؛ لأن تحصيل الحقائق عندهم لا يتم إلا عن طريق التجربة والملاحظة والمشاهدة الحسية، فالمحسوس فقط هو مصدر المعرفة الحقيقية اليقينية، ويمكن أن نجمل القول في التطورات الاعتقادية للعلمانية في الله هي:

١- رفض المعرفة الدينية، وكذا رفض المعرفة الناتجة عن التصور العقلي الحر غير المحكوم بقوانين المادة المشاهدة.

٢- العلم الوضعي المادي المكتسب عن طريق الحواس هو الكفيل بتفسير الحقائق الكونية، فلا حاجة للعلم الشرعي.

٣- إن الكون ليس له خالق؛ لأنه وجد عن طريق الصدفة.

٤- المادة أسبق وجودا من الفكر.

٥- الدين مصيره إلى الزوال؛ لأن تقدم الزمن يقضي عليه، طابع الشيخوخة والكبر، ومن ثم فليس له صفة الثبات والخلود.

٦- قوانين الطبيعة هي التي تدبر شئون الحياة وتصرف مظاهرها، والطبيعة هي الموجدة للكائنات عن طريق التطور والنشوء والارتقاء.

وجملة القول: أن عقيدة العلمانيين تقوم على الإلحاد والكفر بالله وبرسالاته.

ثانيا: شريعة العلمانيين:

إن السيادة في الفكر العلماني للشعب، فهو الذي يحكم نفسه بنفسه بما يرتضيه من قوانين وضعية بشرية.

ومعنى ذلك أن العلمانية تستبدل الخبيث بالطيب، فتنحي شريعة رب العالمين عن ديار المسلمين، وتحتكم إلى قوانين البشر

المخلوقين.

فالامة مصدر السلطات عند اصحاب الفكر العلماني، والمتأمل في حال ديار المسلمين اليوم يجد ان العلمانية قد سيطرت على معظم ديارها، فنحيت شريعة رب العالمين جانبًا، واستبدلوها بقوانين وضعية، ورب العالمين يقول: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون)، ويقول سبحانه: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا).

فلا سيادة للقانون الوضعي كما يلهث بذلك العلمانيون، وليس للامة اختيار امام حكم رب الارض والسماوات، فالشرع هو مصدر السلطات والسيادة للوحي السماوي المنزل؛ لانه من الخالق الرازق الذي لا يستحق العبادة إلا هو سبحانه، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا سيادة لقانون بشري، وإنما السيادة والريادة والطاعة المطلقة لشريعة رب العالمين. قال تعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك).

ولعلك تلاحظ اخي ان الفكر العلماني في جانب الشريعة هو المسيطر على ديار المسلمين، وإن تسربلت بسربال الإسلام وتزينت بزينة الايمان، فواقع الامر يؤكد ما نقول، وقوانين المحاكم تشهد بما نكتب.

٣- نقض العلمانية:

إن الفكر العلماني لا يحتاج إلى كثير جهد في نقضه وإبطال دعواه، فهو لا يؤمن إلا بالمحسوس المشاهد، فنقول لهم: أليس لكم أرواح؟ فإن قالوا: بلى، قلنا: هل ترونها؟ فإن قالوا: لا، قلنا: إذًا نقضتم مبادئكم الباطلة، ثم نقول لهم: هل تقرون بالموت أم لا؟ سيقولون: نعم، قلنا: هل ترونه؟ فإن قالوا: لا، قلنا: كيف تؤمنون بما لا ترون، وأنتم تدعون أنه لا إيمان إلا بالمحسوس المشاهد؟! أليس لكم عقول أم أنكم تقولون ما لا تعلمون؟!

٤- خطورة العلمانية:

وختامًا أخي القارئ الكريم يتضح لك خطورة الفكر العلماني على الأمة، لا سيما في جانب العقيدة والشريعة، فهي ردة لمن آمن بها مع علمه بمخالفتها للشرع وإصراره على اعتناقها وجحوده لحكم رب العالمين.

فليحذر المسلمون من دعاة العلمانية، حيث فتحت لهم منافذ التعبير يكتبون ويقولون، ويشاهدون في الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، وهم يسمون الأشياء بغير مسمياتها، فتحت شعار التنوير والتجديد وحرية الإبداع يدخل هؤلاء إلى بيوتنا وجامعاتنا وصحفنا.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، والله من وراء القصد.

عقائد العلماء

ترجمة مختصرة
للإمام ابن أبي زيد القيرواني

أبو محمد عبد اللَّه بن أبي زيد القيرواني، وُلد سنة ٣١٠هـ.. شيخ المالكية بالمغرب، كان إمامًا بارعًا في العلوم، واسع الثقافة والاطلاع، متبعًا طريق السلف الصالح، داعيًا إليه بالقلم واللسان والعمل، كثير الحفظ، واسع العلم والرواية، فصيح اللسان والقلم، يقول الشعر ويجيده مع صلاح وورع وعفة. قال عنه القاضي عياض: حاز رياسة الدنيا والدين. وكان يسمى مالكًا الصغير، انتفع به خلق كثير في العلم والأخلاق، ورُحل إليه من أقطار الأرض، وكثر الآخذون عنه وعظم شأنهم. عني بمذهب مالك فلخصه ونشره وملأ البلاد بتآليفه العظيمة الفائدة.

مواقفه من أهل البدع!!

له مع أهل البدع والأهواء مواقف مشكورة ومواقع معروفة، وكان مع سعة علمه وكثرة حفظه ذا بيان ومعرفة بما يقول، بصيرًا بالرد على أهل الزيغ والانحراف. وكان سريع الانقياد إلى الحق، وحيث إنه كان شديد الحب للسنة والتعظيم لها اشتد نكيره على المخالفين لها، ولا سيما في الاعتقاد، فرد عليهم وبيّن قبح فعالهم؛ ولهذا نالوا منه بألسنتهم التي لم يسلم منها صاحب سنة، وشنعوا عليه كما هو شأن كل مصلح في أي وقت كان.

وفاته.. ودفنه

توفي رحمه اللَّه في النصف من شعبان سنة ٣٨٦ هـ (ستة وثمانين وثلاثمائة)، ودفن(١) في داره بالقيروان رحمه اللَّه وعفا عنه.

مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني

«باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات»:

من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان بأن اللَّه إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له. ليس لأوّليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، لا يبلغ كُنْهَ صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون. يعتبر المفكرون

بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم.

العالم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير، وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو بكل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما تُوسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين: على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة، كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته وفعله لا خلق من خلقه، وتجلى للجبل فصار دكًا من جلاله، وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد، والإيمان بالقدر خيره وشره.. حلوه ومره.. وكل شيء قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به- (أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)، يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره، من شقي أو سعيد، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنًى خالقٌ لكل شيء، ألا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم، ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد نبيه ﷺ، فجعله آخر المرسلين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأنزل عليه كتابه الحكيم، وشَرَعَ به دينه القويم، وهدى به الصراط المستقيم، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت، كما بدأهم يعودون، وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات، وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر، وجعل من لم يتب من الكبائر صائرًا إلى مشيئته: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ).

الإيمان يزيد وينقص !!

ومن عاقبه الله بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)، ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته، وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي هبط منها آدم نبيه إلى أرضه بما سبق في سابق علمه، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله وجعلهم محجوبين عن رؤيته.

وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والمَلَك صفًا صفًا لعرض الأمم وحسابهم.

وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد: (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، ويؤتون صحائفهم بأعمالهم: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا. وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا. وَيَصْلَى سَعِيرًا)، وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة- عليه- من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم. والإيمان بحوض رسول الله ﷺ تَرِده أمته، لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من بدل وغير. وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصها، فيكون بها النقص وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة. وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة ما لم يستحله. وأن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين، وأن المؤمنين يُفتنون في قبورهم ويسألون: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)، وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم ولا يسقط شيء من ذلك من علم ربهم، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه. وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به، ثم الذين يلونهم.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين.

وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب.

والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم، وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون- من البدع والضلالات- وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله- وصحبه- وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) ترجمة مختصرة لابن أبي زيد القيراوني للشيخ عبد الله الغنيمان.

(٢) ما بين العلامتين (—) إضافة من أسرة التحرير.

تأجير الأرحام

٢

بين الطب والدين

بقلم الشيخ:
محمود غريب الشربيني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:
فلقد تكلمت في العدد السابق عن أسباب تحريم تأجير الأرحام، وتوقفت عند سؤال طرح في هذه القضية، وبالرغم من أن المجامع الفقهية، وأكثر العلماء المعاصرين، قالوا بحرمة تأجير الأرحام، لكن لو وقع هذا الأمر، فما هي الآثار المترتبة عليه بعد وقوعه، لمن يُنْسَب هذا الطفل؟ وما يتصل بثبوت هذا النسب من ميراث، وحل زواج أو حرمته، ومحرمية من عدمها، وما إلى ذلك من أحكام مترتبة على هذا التصرف.

ولقد اختلف العلماء والأطباء في هذه المسألة المتفرعة عن مسألة تأجير الأرحام، منهم من قال بأن الأم هي صاحبة البييضة، ومنهم من قال بأن الأم هي التي حملت ثم ولدت، فمن هي الأم الحقيقية؟

قال في القاموس الفقهي: الأم: أصل وجود الشيء أو تربيته، أو إصلاحه، أو مبدؤه.

قال الخليل: كل شيء ضُم إليه سائر ما يليه يُسمى أمًّا.

وقيل: الأم: هي الوالدة القريبة التي وَلَدتْه، والجَدَّةُ.

وقيل لحواء: أُمّنا، وإن كان بيننا وبينها وسائط.

وعند المالكية: هي كل أنثى لها عليك ولادة من جهة الأم، أو من جهة الأب.

عند الحنابلة: كل من انتسب إليها بولادة، سواء وقع عليها الأم الحقيقية، وهي التي ولدتك، أو مجازًا، وهي التي ولدت من ولدك، وإن علت. اهـ.

ومن ذلك يتبين أن الأم الحقيقية هي الأنثى التي ولدتك، ولقد ورد في القرآن الكريم ذكر الأم على ثلاثة أنواع:

١ - الأم بالولادة بعد الحمل، وهي التي ولدت، وهي من الرحم المحرمة، وقد ورد ذكرها في كتاب الله تعالى في عدة آيات:

- في قوله تعالى: (... حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) (لقمان: ١٤).
- وفي قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا) (النحل: ٧٨).
- وفي قوله تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا من بَعْدِ خَلْقٍ) (الزمر: ٦).
- وفي قوله تعالى: (وَإِذْ أَنتُمْ

أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) (النَجم: ٣٢).

- وفي قوله تعالى: (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ) (المجادلة: ٢).

- وقوله تعالى: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْه كُرْهًا) (الأحقاف: ١٥).

- وقوله ﷺ: «يجمع أحدكم في بطن أمه...» الحديث.

٢- الأم بالرضاع:

وهي الأم التي لم تلدك، ورضَعْتَ من لبنها، وإن كانت الأم من الرضاعة من المحارم، لا يجب عليها الحجاب ممن رضع من لبنها، ولا يجوز لها نكاحه؛ لقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللأَتِي أَرْضَعْنَكُمْ) (النساء: ٢٣)، ولكنها ليست من الأرحام، ولذلك فإن ولدها من الرضاع لا يكلف بالإنفاق عليها، ولا يجري بينهما التوارث، ولا تجب صلتها صلة الرحم.

٣- الأم بزواجها من رسول الله ﷺ:

حيث إن أزواج رسول الله ﷺ اللاتي دخل بهن؛ هن أمهات المؤمنين؛ لقوله تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (الأحزاب: ٦)، ويحرم بهذه الأمومة النكاح، فلا يجوز لمسلم أن ينكح إحدى زوجات الرسول ﷺ بعد وفاته؛ وكذلك لقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أبدًا) (الأحزاب: ٥٣)، ومع ذلك ليس لزوجات النبي ﷺ أن يظهرن أمام رجال المسلمين بغير حجاب، وليس لأحد من رجال المسلمين النظر إليهن بغير حجاب.

ولم يرد في القرآن الكريم أو السنة أن هناك أمًا صاحبة للبييضة وأخرى تحمل وتلد، ولكن كما ذكرتُ في المقال السابق أن الأصل في الأبضاع الحرمة، فإن الأم التي تلد هي أصلاً صاحبة البييضة، ولا يجوز إدخال حيوان منوي من رجل غير زوجها في رحمها، كما لا يجوز إدخال بييضة امرأة أخرى في رحمها.

فإذا كان واضحًا في القرآن والسنة أن الأم هي التي تلد، فهل يتأثر الجنين وراثيًا بالبيئة المحيطة به، أم أن هذا الجنين لا يحمل إلا الصفات الوراثية لصاحبة البييضة؟

ذكرت في المقال السابق أن اللقيمة تتأثر تأثيرًا وراثيًا واضحًا بالعوامل والمؤثرات البيئية في رحم الأم المستعارة.

ويؤكد الأستاذ الدكتور مجاهد أبو المجد، بأن القرار الأخير لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة المنعقدة في مايو ٢٠٠١م بخصوص قضية تأجير الأرحام، قد قرر منع هذه العمليات تمامًا وتجريم من يعملها، وقد تناول المؤتمر مدى تأثير اللقيمة وراثيًا بالبيئة المحيطة بها، وتبين أن الجنين يتأثر وراثيًا بما حوله من إشعاع وأدوية وموجات وأمراض وغذاء وهرمونات من الأم المستأجرة، وهذا ثابت علميًا، ولا مجال للشك في ذلك، كما أكد المؤتمر أن نسبة الأمراض الوراثية المحتملة للجنين تزداد في حالة اختلاف

> لم يرد في القرآن الكريم أو السنة أن هناك أمًا صاحبة للبييضة وأخرى تحمل وتلد والأصل في الأبضاع الحرمة !!

الاستيلاد بمني رجل غريب محرم وكذلك الاستيلاد ببيضة امرأة غريبة فلا ينبغي أن تحمل امرأة ببيضة غيرها!!

الأم الحاضنة عن الأم صاحبة البييضة، وذلك لاختلاف جينات الأم الحاضنة عن جينات الجنين؛ لأن البييضة من امرأة أخرى لها جينات وراثية تختلف عن المرأة الحاضنة، كما تزداد نسبة حدوث تشوهات للجنين، من أجل هذا السبب ولأسباب أخرى. اهـ.

يقع تأجير الأرحام على أربع صور:

الصورة الأولى:

يريد زوجان الإنجاب، ولكن الحمل لا يستقر في رحم الزوجة، فاتفقا مع امرأة أخرى لا زوج لها لتأجير رحمها لتحمل نيابة عن هذه الزوجة العقيم، فإني أرى- وبالرغم من حرمة هذا العمل- أن هذا المولود ينسب إلى أمه التي حملته؛ لأن ما فعله هذا الرجل وزوجته هدر، ألا ترى أن الزاني إذا زنى بامرأة وحملت ثم ولدت، أن ابن الزنا ينسب لأمه، ولا ينسب لصاحب المني؛ لأن ما فعله هدر.

وهذا الحكم ينطبق على كل الصور المماثلة، كأن يكون العقم في الزوج والزوجة، وحصلا على لقيمة من رجل وامرأة آخرين، ثم وضعت اللقيمة في رحم امرأة ثالثة بدون زوج، فحملت وولدت، فإن الولد ينسب لهذه المرأة الأخيرة، وكذلك إذا كانت امرأة بدون زوج ولقحت بييضة لها بمني رجل غريب ثم ردت هذه اللقيمة إلى رحمها، فإن الولد ينسب إليها ولا ينسب للزوج صاحب الماء.

الصورة الثانية:

رجل له زوجتان، كانت إحداهما عقيمًا، فأخذت بييضة منها ولقحت بماء زوجها وردت اللقيمة في رحم زوجته الأخرى السليمة، فحملت ثم ولدت، وبالرغم من حرمة هذا العمل أيضًا- لأن الاستيلاد بمني رجل غريب محرم، فكذلك الاستيلاد ببييضة امرأة غريبة، فلا ينبغي أن تحمل امرأة ببييضة غيرها- فإني أرى أن المولود للتي حملته، لا لصاحبة البييضة؛ لقوله تعالى: (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللائي وَلَدْنَهُمْ)، وهذا نص قطعي الثبوت والدلالة، ولا سيما أنه جاء على صيغة الحصر، وقال سبحانه وتعالى: (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ)، فهل صاحبة البييضة حملته وهنًا على وهن؟ وقال سبحانه: (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا)، فهل صاحبة البييضة كذلك؟

وإذا كانت اللقيمة نمت وتغذت وتأثرت بمن حملتها، وتحملت التي حملتها آلام الحمل والمخاض، فهل يعقل أن ينسب الولد لغيرها؟ وعليه فهذا الولد ابن لهذه التي حملته وولدته، ويأخذ كل أحكام الولد بالنسبة لأمه، والأم بالنسبة لولدها من حيث الميراث ووجوب النفقة والحضانة، وامتداد الحل والحرمة إلى أصولها وفروعها وحواشيها، إلى غير ذلك.

وأما عن علاقة صاحبة البييضة بهذا الطفل في هذه الحالة، فهي زوجة أب لهذا الطفل، ولها أحكامها، أما ما فعلته فهو هدر لا تترتب عليه أحكام.

الصورة الثالثة:

المرأة المستأجرة رحمها متزوجة، ويعلم الزوج بهذا العقد، وشارك زوجته فيه، أو أنه علم بذلك وسكت، فإن الولد ينسب لهذا الزوج ولهذه المرأة التي حملت ووضعت، وذلك لما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر». وبالرغم من أن هذا المولود ينسب لصاحب الفراش، لكن على بنات هذا الرجل وأخواته أن يحتجبن من هذا الولد إن كان ذكرًا، وإن كانت أنثى فللاحتياط لا يتزوج أبناء هذا الرجل منها، والأصل في ذلك أن رسول الله ﷺ بالرغم من أنه ألحق ابن وليدة زمعة بزمعة، إلا أنه قال لزوجته -سودة-: «احتجبي منه يا سودة»، وذلك فيما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عُتبةُ عهدَ إليَّ أخيه سعد أن ابن وليدة زمعة منِّي، فاقبضْه إليك، فلما كان عام الفتح أخَذَه سعد، فقال: ابنُ أخي عهد إلى فيه، فقام عبد بن زمعة، فقال: أخي وابن وليدة أبي، يُولد على فراشه، فتساوَقا إلى النبي ﷺ، فقال سعد: يا رسول الله، ابن أخي قد كان عهد إليَّ فيه، فقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه، فقال النبي ﷺ: «هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، ثم قال لسودة بنت زمعة: «احتجبي منه»؛ لِمَا رأى من شبهه بعتبة، فما رآها حتى لقي الله. هذه رواية البخاري.

وفي رواية لمسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في غلام، فقال سعد: هذا يا رسول الله ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد إليَّ أنه ابنه، انظر إلى شبهه، وقال عبد بن زمعة: هذا أخي يا رسول الله، ولد على فراش أبي من وليدته، فنظر رسول الله ﷺ إلى شبهه، فرأى شبهًا بينًا بعتبة، فقال: «هو لك، يا عبد، الولد للفراش وللعاهر الحجر، واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة». قالت: فلم ير سودة قط.

الصورة الرابعة:

هي نفس الصورة السابقة، ولكن زوج هذه المرأة التي حملت، أنكر أن يكون هذا ولده، فلكي ينفي النسب عنه، يُلاعن هذه الزوجة ويفسخ عقد النكاح بينهما، ويقطع نسب هذا الولد من الزوج ويلحق بأمه فقط، وذلك للحديث المتفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي وغيره، وفي رواية لمسلم عن سعيد بن جبير قال: سُئلت عن المتلاعنَين في امرأة مصعب أيفرَّق بينهما؟ قال: فما دريت ما أقول، فمضيت إلى منزل ابن عمر بمكة، فقلت للغلام: استأذن لي، قال: إنه قائل، فسمع صوتي، قال ابن جبير؟ قلت: نعم، قال: ادخل، فوالله ما جاء بك هذه الساعة إلا حاجة، فدخلت فإذا هو مفترش برذعة، متوسد وسادة حشوها ليف، قلت: أبا عبد الرحمن، المتلاعنان أيفرق بينهما؟ قال: سبحان الله، نعم، إن أول من سأل عن ذلك فلان ابن فلان، قال: يا رسول الله: أرأيت أن لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة كيف يصنع؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك؟ قال: فسكت النبي ﷺ، فلم يجبه، فلما كان بعد ذلك، أتاه فقال: إن الذي سألتك عنه قد ابتليت به، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات من سورة النور: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ)، فتلاهن عليه ووعظه، وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قال: لا والذي بعثك بالحق، ما كذبت عليها، ثم دعاها فوعظها وذكرها، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، قالت: لا والذي بعثك بالحق، إنه لكاذب، فبدأ بالرجل، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم ثَنَّى بالمرأة، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثم فرق بينهما.

وفي رواية عند البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي، قال: حضرتُ لعانهما عند النبي ﷺ، فأنا ابن خمس عشرة سنة- وساق الحديث- قال فيه: ثم خرجت حاملاً، فكان الولد يدعى إلى أمه.

وفي رواية عند أبي داود: قال سهل: حضرت هذا عند رسول الله ﷺ، فمضت السُّنَّة بعد في المتلاعنين: أن يفرق بينهما، ثم لا يجتمعان أبدًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اليهــود والانتقـ

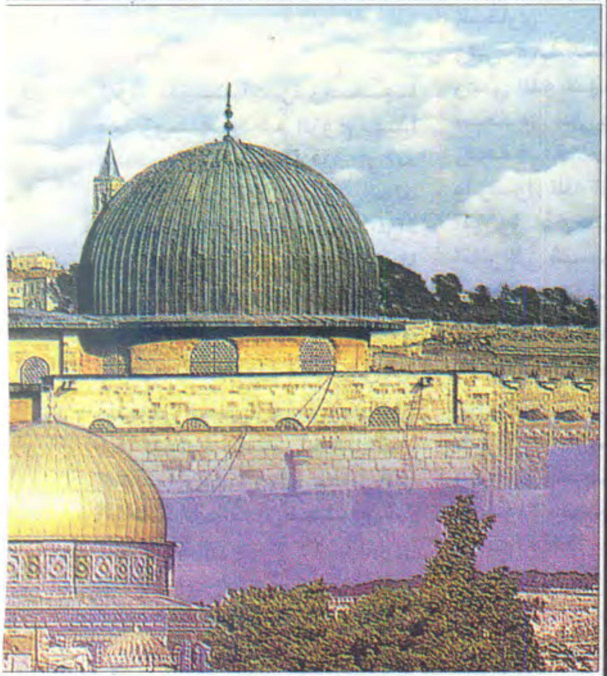

□□ كان الإفساد الذي وقع من اليهود سببًا في تسليط الرسول ﷺ عليهم، فأجلى بني قينقاع وبني النضير، وقتل مقاتلة بني قريظة، وسبى نساءهم، وفتح خيبر، وضرب عليهم الجزية، ولم تكن خيبر مجرد مقاطعة يهودية متواضعة، وإنما كانت كثيرة النخل والزرع، خصبة الأرض، لعبت دورًا خطيرًا في الصراع الإسلامي اليهودي، وسببت الكثير من المتاعب للمسلمين، ولما كان المال عصب الحياة، فقد كانت أموال خيبر تمول المحاولات اليهودية للالتفاف على المدينة ومَن فيها من المسلمين، كما أنها مثلت ملجأً آمنًا ليهود بني النضير بوجه خاص، والذين أُجلوا عن المدينة؛ لنقضهم عهد رسول الله ﷺ، وكذلك مثلت ملاذًا آمنًا لفلول يهود بني قينقاع الذين أُجلوا عن المدينة أيضًا لنفس الأسباب، كما كانت غرفة عمليات تجميع الأحزاب لغزو المدينة، والتي قادها حيي بن أخطب النضري، وسلام ابن أبي الحقيق، وكنانة بن أبي الحقيق، وأسيد بن رزام، كما تميزت خيبر بأنها كان بينها وبين عرب غطفان- من القبائل العربية المناوئة للإسلام- حلفٌ قديمٌ تسبب في استنفارهم في غزوة الأحزاب، ولذلك كانت خيبر محلاً لتفكير الرسول ﷺ، الذي أراد أن يضرب هذا التجمع المناوئ للإسلام والمسلمين؛ حتى لا يمثل خطرًا دائمًا بعد ذهاب الأحزاب، لكل هذه الأسباب عزم الرسول ﷺ على فتح خيبر، وضرب هذا التجمع المتآمر والذين حاولوا اغتيال الرسول ﷺ من قبل، وخططوا له. □□

فبعد صلح الحديبية فرغ الرسول ﷺ من أهم أضلاع مثلث التآمر: قريش، وكذلك يهود المدينة (الضلع الثاني)، وسار إلى الضلع الثالث في محرم سنة ٧هـ، قال تعالى: (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ) (الفتح: ٢٠). يعني صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة: خيبر.

ولما أراد الرسول ﷺ الخروج أعلن أن لا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج معه إلا أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة. (فتح الباري، زاد المعاد).

وتقع خيبر على بُعد ثمانية مراحل من المدينة إلى الشمال (حوالي ٨٣ كم)، ونزل الرسول ﷺ بين خيبر وغطفان؛ حتى يقطع مدد حلفاء خيبر من غطفان. وقام عامر بني الأكوع يحدو الإبل

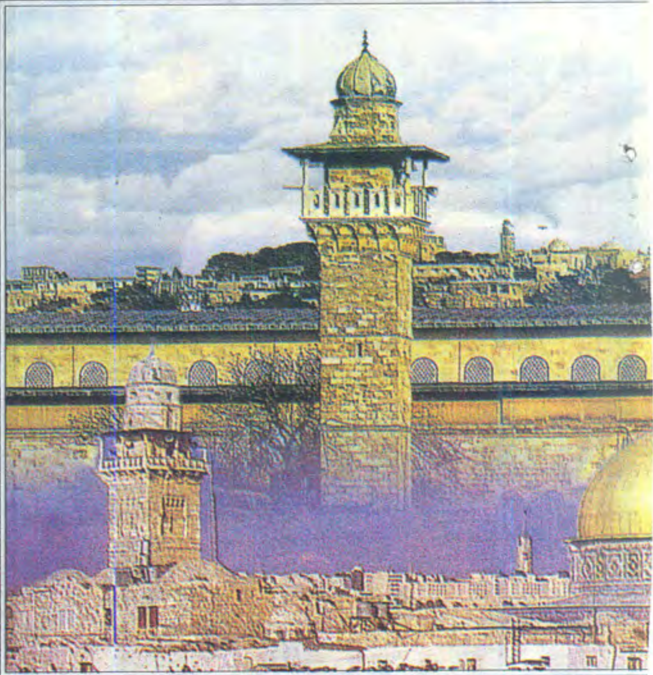

ام الإلهي!!

بقلم:
د. الوصيف علي حزة

ويرتجز:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اتقينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينة علينا
إنا إذا صبح بنا أبينا

بات المسلمون ليلة فتح خيبر على عادة الرسول ﷺ، فبدأ المعركة فجرًا، فلما كان قريبًا منها قال ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين». (البخاري- باب غزوة خيبر).

خيبر وحصونها المنيعة!!

وكانت خيبر تتميز بحصونها المنيعة، ويبلغ عددها ثمانية حصون؛ خمسة حصون يقال لها: حصن النطاة، وثلاثة يقال: حصن الكتيبة.

ولما كانت ليلة الفتح وبدأت المعركة قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن ابي طالب؟» فقالوا: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه». فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم». (البخاري، باب غزوة خيبر).

وقد أخذ الراية علي رضي اللّه عنه وحاصر حصن ناعم، وهو أقوى حصونهم، فخرج مرحب ملكهم وهو يرتجز:

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر بن الأكوع، فأصيب عامر في ركبته فمات، فبرز له علي بن أبي طالب، فقال له:

أنا الذي سمتني أمي حيدره
كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه. وبدأت تتوالى ضربات المسلمين وتساقطت حصون اليهود الواحد تلو الآخر، ولما رأى ابن أبي الحقيق الحصون تتهاوى أمام العزيمة الإيمانية للمسلمين، أرسل إلى رسول الله ﷺ أنزل فأكلمك؟ قال: نعم، فنزل وصالح على حقن دماء مَن في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم

ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وما حملت ركائبهم، ويُخَلُّون بين يدي رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء (أي الذهب والفضة)، فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتوني شيئًا»، فصالحوه على ذلك. (زاد المعاد بتصرف).

وصدق الله تعالى: (لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى).

وقاموا بتسليم الحصون، وعلى الرغم من هذا الاتفاق على إظهار كل ما يملكون، غيب أبناء أبي الحقيق مَسكًا (جلد) فيه مال وصل لحيي بن أخطب كان احتمله معه حين أجليت بنو النضير.

وجاء رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع فجحد كنز حيي، وقال: أذهبتْه الحرب، فقال رسول الله ﷺ: «المال كثير والعهد قريب»، فجاء يهودي فأخبر بموضع الكنز، فأمر النبي ﷺ بقتل ابن أبي الحقيق، وسبى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي ابن أخطب، وكانت تحت كنانة بن أبي الحقيق.

وقد كانت هذه الغزوة حربًا حقيقية؛ إذ أسفرت عن قتل ثلاثة وتسعين مقاتلاً من اليهود في خيبر، واستشهد من المسلمين ستة عشر شهيداً، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: ثلاثة وعشرون.

وقال يهود خيبر لرسول الله ﷺ: دعوا لنا الأرض نفلحها لكم، فنحن أدرى بها، فأقرهم الرسول ﷺ على زراعتها، مقابل النصف من زرعها كل عام.

محاولة سم رسول الله ﷺ من الشاة المسمومة

حيث قامت زينب بنت الحارث بإهداء الرسول ﷺ شاة مسمومة، وأكثرت وضع السم في ذراعها، بعد أن عرفت حب رسول الله ﷺ لأكل ذراع الشاه، فأُخبر رسول الله ﷺ، وقال لها: «إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم»، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» قالت: قلت: إن كان ملِكًا استرحت منه، وإن كان نبيًا فسيخبر، فتجاوز عنها.

ونلاحظ هنا المحاولات المستمرة من اليهود للتخلص من رسول الله ﷺ بهذه المؤامرات الخبيثة.

فتح وادي القرى وتيماء وفدك

ثم توجه الرسول ﷺ إلى وادي القرى، وقد أعطى الراية لسعد بن عبادة والحُباب بن المنذر وسهل بن حنيف، ثم حاصرهم، فنزلوا على ما نزل عليه أهل خيبر.

ثم استسلم يهود فدك وتيماء بدون مقاومة، وجعل النبي ﷺ أرض فدك لنوائبه، حيث لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وفرض عليهم الجزية، وأقرهم على زراعة أرضها مقابل نصف غلتها، ولما وافت رسول الله ﷺ المنية وصعدت روحه إلى الرفيق الأعلى وظهرت الردة في أرجاء الجزيرة وتصدى لها الصِّديق رضي اللَّه عنه، كان اليهود يرمقون الأحداث؛ علهم ينتهزون فرصة تلوح لهم، لكن الله أيد جنده، ونصر الإسلام، وخمدت نار الردة، وتسلم عمر بن الخطاب الخلافة، وقد استقرت الأمور.

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بإخراج أهل الكتاب من جزيرة العرب

ولما كان قد استقر في روع رسول الله ﷺ أن اليهود والنصارى لن يتركوا الإسلام وشأنه، وإنما سينتهزون أول فرصة تلوح لهم للالتفاف على الإسلام والمسلمين، كما قال تعالى: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)، ولمَّا كانت التجربة مع اليهود مريرة، خشي الرسول

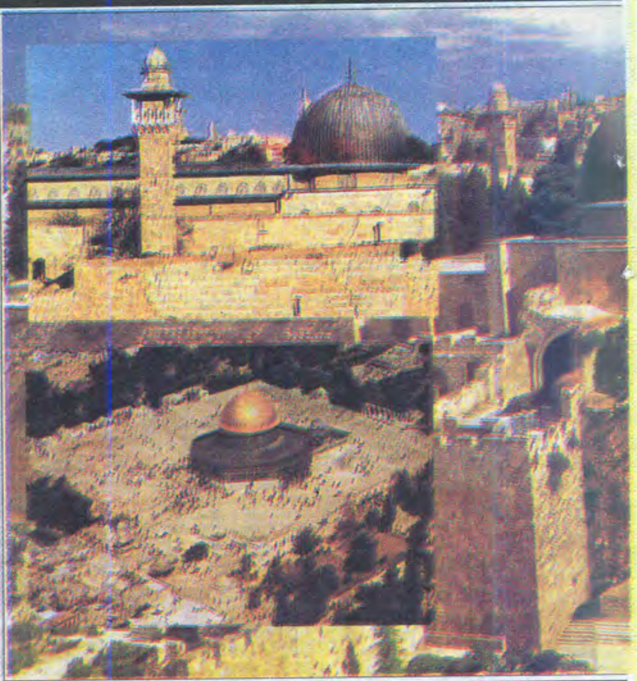

ﷺ من مؤامراتهم ودسائسهم على استقرار الإسلام في الجزيرة، فقال ﷺ من حديث ابن عمر: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا». (مسلم، المغازي).

وعن عبيدة قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال: «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب». رواه أحمد.

فلما كان في عهد عمر بن الخطاب وعلم أن النبي ﷺ قال عند موته: «لا يجتمعنَّ بجزيرة العرب دينان»، قال: من كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به أُنْفِذْه له، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء، فأجلى من لم يكن عنده عهد. (سيرة ابن هشام).

وكان من بنود عهد الرسول ﷺ ليهود خيبر أن له أن يخرجهم من خيبر متى شاء.

لتفسدن في الأرض مرتين

ذهب كثير من المؤرخين إلى أن الإفسادة الأولى المذكورة في سورة الإسراء والتي استطال فيها اليهود وقتلوا وذبحوا وعاثوا في الأرض فسادًا، فأرسل الله عليهم بختنصر. وفي الثانية أرسل عليهم الرومان أيضًا فدمروهم وأجلوهم. وذكر الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسيره أضواء البيان قوله تعالى: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا)، لما بيَّن جل وعلا أن بني إسرائيل قضى إليهم في الكتاب أنهم يفسدون في الأرض مرتين، وأنه إذا جاء وعد الأولى منهما بعث عليهم عبادًا له أولي بأس شديد، فاحتلوا بلادهم وعذبوهم، وأنه إذا جاء وعد الآخرة: بعث عليهم قومًا ليسوءوا وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا، وبيَّن أيضًا أنهم إن عادوا للإفساد المرة الثالثة فإنه جل وعلا يعود للانتقام منهم بتسليط أعدائهم عليهم، وذلك في قوله تعالى: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا)، ولم يبيِّن هنا: هل عادوا للإفساد للمرة الثالثة أو لا؟ ولكنه أشار في آيات آخر أنهم عادوا للإفساد بتكذيب الرسول ﷺ وكتم صفاته، ونقض عهوده، ومظاهرة عدوه عليه، إلى غير ذلك من أفعالهم القبيحة، فعاد الله جل وعلا للانتقام منهم؛ تصديقًا لقوله: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا)، فسلط الله عليهم نبيه ﷺ والمسلمين، فجرى على بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع وخيبر ما جرى من القتل والسبي والإجلاء وضرب الجزية على من بقي منهم، وضرب الذلة والمسكنة. اهـ.

ثم أجلاهم عمر رضي اللَّه عنه، كما بينا آنفًا، ولقد أفسدوا أيام رسول الله ﷺ، ومن ذلك:

- قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ) أي: إنكار صفته في التوراة.

- وقوله تعالى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ).

- وقال تعالى: (أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم)، وقوله تعالى: (وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ)، وقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً).

آيات تدل على الانتقام بعد الإفساد الواقع منهم

قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ)، وقوله تعالى: (وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ

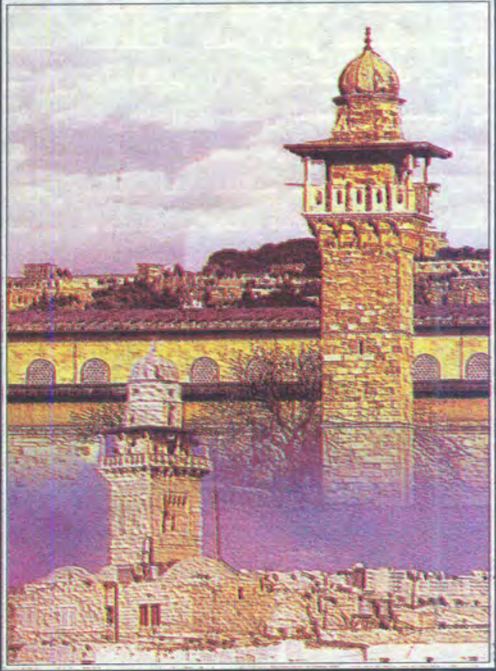

وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا)، ونحو ذلك.

هذا الإفساد فأين العباد!!

ولا يختلف اثنان أن اليهود الصهاينة قد أفسدوا في زماننا هذا إفسادًا عظيمًا، ولا يمر يوم ولا حتى ساعة واحدة إلا ولهم فيها بصمات إفساد، ولا يخفى دورهم في إسقاط الدولة العثمانية عن طريق جمعية الاتحاد والترقي، ودورهم في نشر الرذيلة والأفكار الهدامة في العصر الحديث كالداروينية والوجودية والماركسية، كما لا يخفاك أخي القارئ الكريم عن أصابعهم الخفية، وأنهم وراء الماسونية العالمية وامتلاكهم لمدينة هوليوود التي يصدرون الفساد منها إلى العالم أجمع، أما احتلالهم لفلسطين السليبة، فهذه قاصمة الظهر، وكاسرة العظم، وقتلهم للشيوخ في حرب ٤٨، ٦٧، والأطفال والنساء في دير ياسين وكفر قاسم، وقتلهم للأسرى المصريين في ٦٧ بسيناء، وقتلهم الأطفال في صبرا وشاتيلا بيد السفاح المجرم شارون، واستمرارهم في قتل أطفال الانتفاضة وتدنيسهم للحرم القدسي الشريف (المسجد الأقصى) ودخول الخنزير شارون إلى حرمه وحرق منبره إبان حرب الأيام الستة ومحاولاتهم لنشر الرذيلة بين أبنائنا وتهريب المخدرات والسموم البيضاء إلى مصر ودول الشرق ومحاولتهم لنشر الإيدز والأمراض الفتاكة بين شبابنا وآخر محاولاتهم إغراء خمسة عشر ألفًا من الشباب المصري وتزويجهم من فتيات إسرائيليات لينشأ بذلك الطابور الخامس في بلادنا؛ إذ اليهودي عندهم مَن أُمُّهُ يهودية، أيبقى بعد كل هذا الإفساد أمل في صلاحهم واستقامتهم؟ كلا!! ولكن السؤال الذي نطرحه: هذا هو الإفساد، فأين العباد؟

إن نساءنا الآن تلبس نفس الأزياء، وأفلامنا كأفلامهم، وشبابنا يلبس نفس ملابسهم ويحلق شعره على نمطهم، ويرقص كرقصهم، ويقيمون الموالد كموالدهم، فما السبيل وأين العباد؟

إن الله وعد، ووعده لا يتخلف بالتمكين لهذه الأمة إن حققت شروط التمكين. قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا).

وقال تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)، وقال تعالى: (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ).

أيها العرب، أعلنوها إسلامية مقدسة، واجعلوا رسول الله ﷺ أسوتكم وقدوتكم، وعمر ابن الخطاب وسيرته نبراسًا لكم، وصلاح الدين الأيوبي الذي وحَّد المسلمين، ودعا إلى التوبة العامة، وأبطل المكوس، وأغلق الحانات، فكان النصر وكانت العزة الإسلامية.

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ).

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أنصار السنة وستون عاماً من الصحافة الإسلامية

بقلم الشيخ: فتحي عثمان

لقد قامت جماعة أنصار السنة المحمدية على أيدي رجال نذروا أنفسهم لتطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، ومحاربة البدع والخرافات والترهات وجهل الجاهلين وإلحاد المبطلين وتأويل الغالين.

فبدأت تكافح الخرافات، لا سيما ما كان متعلقًا منها بالعقائد، وترجع بأعضائها وكل من يشرفها إلى سنة النبي ﷺ وطريق السلف الصالح، وتنيرهم بالمعارف النبوية وتنشؤهم على حب الكتاب والسنة، وتمرنهم على النزول على حكمهما من غير عصبية.

هذا كلام مؤسسها الأول الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله، الذي كتبه في مجلة الهدي النبوي في العدد الأول الذي صدر في ربيع الثاني ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م، وكان الهدف من إصدارها كما يقول رحمه الله: لقد كنتُ في حياتي الأولى سالكًا مع السالكين، وملبسًا من الملبسين ومخرفًا من المخرفين، وداعيًا إلى البدعة وإلى الجاهلية وعبادة الموتى والخشب والنُّصُب مع الداعين، فهداني الله إلى دين الهدى، وكشف عن بصيرتي حجب الجهل والعمى وبصرني بنور الحق من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ، ووفقني بفضله إلى سبيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فذقت حلاوة التوحيد الخالص، وعرفت لله تعالى منته العظمى في تلك الهداية، ونعمته الكبرى في هذا التوفيق، وكان من حق هذه النعمة وأداء شكرها أن أنفق حياتي لإرشاد الضال وهداية التائه، فأصدرت مجلة الهدي النبوي لتكون اللسان المعبر عن دعوة أنصار السنة المحمدية والقلم الراسم لخطتها.

وهي أخت (الإصلاح) التي كنت أصدرتها زمن الإمام المصلح، والملك الراشد المخلص عبد العزيز آل سعود، رحمه الله.

حالة المجتمع يوم صدور الهدي:

تصور الهدي النبوي تلك الحال في عددها ربيع أول ١٣٥٨ هـ، وفي السنة الثانية لصدورها فتقول: إن تسعة وتسعين في المائة من الأمة على جاهلية في علمها وعقيدتها وخلقها وحكمها ونظامها، وقد ضرب الجهل على القلوب نطاقًا مظلمًا أسود حجب عنها كل هدى وكل نور، الأكثرية الساحقة على ذل القلوب للموتى، واستخذائها للأحجار والأشجار واستكانتها وخشوعها للنصب والمقاصير والقبور، معرضة عن التحاكم في عقيدتها وعبادتها وشئونها إلى ما أنزل الله من الهدى والذكر الحكيم، والأكثرية أيضًا على تحزب وتفرقة وشتات بالطرق الصوفية والمذاهب التقليدية، وكل حزب بما لديهم فرحون وبشيخهم وحده يثقون مهما كان قوله مخالفًا للمنقول والمعقول، وفيه يعتقدون علم الغيب، وتصريف الأقدار والإنجاء من النار.

أسباب توقف المجلة:

صدر آخر عدد من مجلة الهدي النبوي في صفر ١٣٨٧هـ، أي بعد ٣١ عامًا، وكان سبب توقفها هو قرار دمج الجماعة في الجمعية الشرعية، وبذلك صدر منها ثلاثون مجلدًا الآن قد جمعت وهي تحت إمرة الباحثين، وطلاب الدراسات العليا في الأزهر الشريف والجامعات.

أول عدد صدر من هذه المجلة وملامحه:

كان عدد صفحاته ٢٤، وكانت الموضوعات التي نشرت هي افتتاحية للشيخ محمد حامد الفقي، وتفسير لسورة الفاتحة للشيخ محمد محمد مخيمر إمام وخطيب وعضو مجلس علماء الجماعة، ثم نبذة عن السلف وبحث عن تحية المسجد يوم الجمعة للشيخ عبد الرازق عفيفي عضو مجلس علماء الجماعة، ومقال بعنوان: العزة للشيخ عبد الوهاب العيسوي واعظ عام القاهرة وعضو مجلس علماء الجماعة، واستحضار الأرواح للشيخ عبد اللطيف حسين عضو مجلس الإدارة، ثم كلمة عن نشأة الجماعة للأخ محمد علي القاضي سكرتير الجماعة بعد ذلك، ومما ينبغي ذكره أن الاشتراك السنوي للمجلة كان حينذاك عشرة قروش فقط.

عدد الكتاب الذين ساهموا في الكتابة في المجلة:

لقد اشترك في الكتابة في المجلة طوال زمن إصدارها أكثر من ٨٠ كاتبًا، منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- الشيخ محمد حامد الفقي.
- الشيخ أبو الوفاء محمد درويش.
- الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح.
- الشيخ محمد محمد مخيمر.
- الشيخ عبد الرازق عفيفي.
- الشيخ نور الدين علي الصومالي.
- الشيخ تقي الدين الهلالي.
- الشيخ محمد بهجت البيطار.
- الشيخ محمد صادق عرنوس.
- الشيخ البيحاني.
- الشيخ عبد المتعال المنزلاوي.
- الشيخ عبد الرحمن الوكيل.
- الشيخ محمد خليل هراس.
- الشيخ محمد عبد الحليم حمودة.
- وكان شاعر الجماعة: نجاتي عبد الحميد.

وكان مع هؤلاء المحدث العلامة أحمد

محمد شاكر، الذي تولى إدارة المجلة فترة من الزمن، كما ساهم في الكتابة فيها الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، بكلية أصول الدين.

أصحاب الأبواب الثابتة:

- الشيخ محمد حامد الفقهي (التفسير).
- الشيخ أبو الوفاء محمد درويش (الإفتاء).
- الشيخ عبد الرحمن الوكيل (التصوف).
- الشيخ خليل هراس (العقيدة).
- الشيخ محمد صادق عرنوس: صورة من الحياة المصرية.

من تولى الإفتاء على صفحاتها:

أول من تولى الإفتاء هو الشيخ محمد بهجت البيطار، وكان يكتب فتاواه من دمشق، ثم تولى الإفتاء بعد ذلك الشيخ محمد حامد الفقي، وبعد فترة تولى الشيخ أبو الوفاء باب الفتاوى، حتى توفي عام ١٣٨٣هـ.

فتولى بعده الإفتاء الشيخ محمد خليل هراس، حتى توقفت المجلة عن الصدور، ومما يذكر في هذا الموقف أن الشيخ حامد الفقي كان ينشر فتاوى كثيرة للشيخ عبد المجيد سليم مفتي مصر في ذلك الوقت، ثم شيخ الأزهر بعد ذلك.

موضوعات كتِب فيها سلسلة مقالات:

شرح أحاديث الأحكام، من خصائص الإسلام، الأسماء الحسنى، الداء والدواء، العلم والنور والعلم المنصور في الرد على المستنجدين بالقبور، منشأ الشرك، الغلو في الصالحين، طواغيت، نظرات في التصوف، خطبة الرسول في حجة الوداع، الدين الخالص، عقيدة القرآن والسنة.

موضوعات صدرت على هيئة كتب ورسائل:

كان يمتاز كُتَّاب مجلة الهدي النبوي في ذلك بالنَفَس الطويل والعلم الغزير، حتى إن بعضهم كان يكتب مجموعة مقالات، ثم تصدر كتابًا بعد ذلك، وقد صدر منها:

- شرح أحاديث الأحكام، للشيخ محمد حامد الفقي.
- الأسماء الحسنى - والداء والدواء، للشيخ أبو الوفاء محمد درويش.
- عقيدة القرآن والسنة، للشيخ محمد خليل هراس.
- أسباب البدع ومضارها، للشيخ محمود شلتوت.
- مسائل في الشرك والبدع، لمجموعة علماء.
- بشرية الرسول ﷺ - ومن ضلالات التصوف، للشيخ عبد الرحمن الوكيل.
- الداء والدواء، للشيخ أبو الوفاء محمد درويش، والشيخ عبد الحليم حمودة.

ونأمل أن تتمكن الجماعة من إصدار:

- تفسير الشيخ حامد الفقي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل.
- فتاوى المجلة.
- نظرات في التصوف للشيخ عبد الرحمن الوكيل.

* الحوارات التي كانت بين علماء الجماعة بعضهم مع بعض ومع غيرهم.

من تولى رئاسة تحريرها وإداراتها:

تولى رئاسة تحريرها الشيخ حامد الفقي من سنة ١٣٥٦هـ حتى ١٣٧٨هـ، كما تولى مدير المجلة كل من الشيخ أحمد محمد شاكر، صادق عرنوس، حسن الجمالي، صالح سعدان، رشاد سليمان.

أبرز الموضوعات التي عالجتها:

١- لما كان كُتَّاب المجلة من العلماء المبرزين في عقيدة التوحيد خاصة والعلوم الشرعية عامة، فقد تطرقت المجلة للكتابة عن:

التفسير الموضوعي للقرآن- قضايا الاعتقاد- قضية الأولياء ومحبتهم - قضية التوسل - قضية الشفاعة - رفع القبور وتزيينها والصلاة فيها - الطواف والنذر للموتى والمقبورين - منشأ الشرك الغلو في الصالحين - حكم التوسل بذوات الأشخاص - البدع وأسبابها ومضارها وأنواعها.

كما شاركت في قضايا المجتمع، وأهم ما عالجته التصوف وضلالاته، شرح الأحاديث النبوية، كما كان للشعر مكان بالمجلة، وكان للفتوى على صفحاتها نصيب وافر واهتمام كبير.

ولا يمكن للباحث في هذه المجلة أن يهمل ما كان من حوارات ومساجلات حول بعض القضايا، منها ما كان بين علماء الجماعة، ومنها ما كان بين الجماعة وغيرها، وأبرزها: ما كان حول قضية تلبس الجن بالآدمي، حكم التصوير الضوئي - السندات - تيمم المسافر - صلاة المسافر خلف المقيم - احتساب الركعة لمن أدرك ركوع الإمام - حكم القراءة من المصحف في الصلاة - الزواج من الكتابيات - مسألة سحر الرسول ﷺ.

* من أهم القضايا التي تم فيها حوار بين الهدي النبوي وغيرها:

- قضية الاستواء، وكانت بين الهدي النبوي ومجلة الاعتصام.
- جواز التوسل بالأشخاص، وكانت بينها وبين مجلة لواء الإسلام.

كما تولت الرد على أباطيل الدجوي وعبد ربه سليمان المخرفيْن.

* مدى انتشار المجلة في البلاد الأخرى:

رغم أن المجلة صدرت في أول عهدها بإمكانيات تكاد تكون معروفة أو كانت ميزانيتها ١٣٠ جنيه، ومع ذلك فإننا نقرأ فيها أسئلة ترد إليها من بلاد كثيرة في آسيا وإفريقيا، وقد كانت المجلة توزع في مصر والسودان والسعودية والصومال والحبشة وبلاد المغرب وتايلاند وباكستان.

ونحب أن نختم كلمتنا هذه عن الهدي النبوي أنها كانت صاحبة أثر كبير في انحسار البدع التي كانت ظاهرة في المجتمع في أول زمن صدور المجلة، فاختفت بدع كثيرة، وقل أثر كثير من البدع، وصار المتصوفة والمبتدعة يفعلون ما يفعلون وهم وجلون منكسرون بعد أن كانت لهم اليد الطولى على أفراد المجتمع.

ولما توقفت المجلة عن الصدور، قامت الجماعة بإصدار أختها التوحيد التي بلغت الآن ثلاثين عامًا من الصدور، وبذلك تكون أنصار السنة المحمدية قد عملت بالصحافة الإسلامية ستين عامًا.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وأخذ بقلوبنا وعقولنا ونواصينا إلى الدعوة إلى الله على بصيرة. والله ولي التوفيق.

- □□ المصائب التي تصيب الإنسان في نفسه، أو في أسرته، أو في مجتمعه ليست شرًا محضًا يوجب الجزع، وإنما هي مَحك للإيمان، وابتلاء في الصبر، وحسن التحمل؛ إذْ بها تنقّى الأبدان، وتطهّر النفوس؛ ولذا فقد جعل لها الإسلام علاجًا، وبيّن ثواب الصبر عليها؛ لأنها ابتلاء واختبار، يظهر معه قوة الجوهر، وطيب المعدن.

وقد أبان الله في كتابه طريقة في التسلية، تريح القلوب، وتهدئ ثائرة النفس، وذلك بالصبر والاسترجاع، وقرن ذلك بالجزاء الأوفى من الله، والثواب الذي يرفع الله به درجة الصابر المحتسب، وهو وعد من الله سينجزه سبحانه، كما قال سبحانه: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ. أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ١٥٥- ١٥٧). □□

المصيبة قد تكون نافعة

بقلم
د. محمد بن سعد الشويعر

ولا يوجد شخص في هذه الدنيا، مهما كان، وبأي موقع حلّ، لم تصبه مصيبة، من مصائب الدنيا العديدة، أو لم يتجرع ألمها، ويشعر بثقل وقوعها، مهما كان نوعها: صغيرة أم كبيرة، في النفس أو في الممتلكات؛ ولذا سمى بعضهم الدنيا بدار الأكدار، ومرتع المصائب، ولكنها دار الابتلاء، ومحك الإيمان والصبر.

ولكنّ وقوع المصيبة على المؤمن أخف ألمًا، من وقوعها على غيره؛ لأن إيمانه، وقوة عقيدته، وحسن توكله على ربه مما يخفف هذا الوقع. يقول القرطبي في المصيبة: هي كل ما يؤذي المؤمن، ويصيبه، وقد جعل الله عز وجل، كلمات الاسترجاع، وهي قول المصاب: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) ملجأً وملاذًا لذوي المصائب، وعصمة للممتحَنين من الشيطان؛ لئلا يتسلّط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة، فيهيّج ما سكن، ويظهر ما كمن؛ لأنه إذا لجأ لهذه الكلمات، الجامعات لمعاني الخير والبركة، فإن قوله: (إنا لله) إقرار بالعبودية والملك، واعتراف العبد لله، بما أصابه منه، فالملك يتصرّف في ملكه كيف يشاء، وقوله: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) إقرار بأن الله يهلكنا، ثم يبعثنا، فله الحكم، في الأولى، وله المرجع في الأخرى، وفيه كذلك رجاء من عند الله بالثواب.

ومن بركة هذا الاسترجاع العاجلة، بالإضافة إلى ما ذكر، ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله به: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ)، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله خيرًا منها».

قالت أم سلمة: فلما مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله عليّ

برسول الله ﷺ. «تفسير القرطبي».

والمصيبة التي تحلّ بالإنسان، تختلف بحسب قدرة الإنسان على التحمّل، وبحسب ما وقر في نفسه من علاج، مستمد من شريعة الإسلام، يخفف عن الكاهل، ما ناء به من ثقل، فهي خير للإنسان، إذا تحملَها بصبر، وأدرك أنها جاءته ليمتحن الله إيمانه وتحمله، فقد روت عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المؤمن، إلاّ كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها». رواه البخاري ومسلم.

وحتى تكون المصيبة نافعة، ودافعة للإنسان إلى أن يراجع نفسه، ويحاسبها على أعمالها، يودّ أن تزداد المصيبة عنده، لكي يزداد من الصبر، والإكثار من الدعاء لله، فتخف المصيبة عنده، ويشعر بلذة المناجاة، وطمع الدعاء، ثم فيما أعده اللَّه للصابرين المتثلين، ولذا فإن مما يتسلى به أهل المصائب:

- أن يعلم أن من المصائب والشدائد، ما تمنع من الفخر والخيلاء، والتكبر والتجبر، وقد ألّف العزّ بن عبد السلام في فوائد الابتلاء كلامًا حسنًا، جاء كثير منه في كتاب «محاسن التأويل» للقاسمي.

- وأن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه، فإنما هي بإذن اللَّه عز وجل وقضائه وقدره، والإيمان بالقدر خيره وشرّه، وأنه من اللَّه تعالى، ركن من أركان الإيمان، يقول ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفَت الصحف». رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

- وعليه أن يجعل مكان الأنين والشكوى إلى الخلق، ذكر الله تعالى، وحمده على أن خفَف عنه المصيبة بما هو أعظم، وأن المصيبة لم تكن في الدين، وأن يوجه شكواه إلى الله سبحانه، فإنه هو الذي يكشف الضّر، ويخفف ألم المصيبة، وأن الله هو الرحمن الرحيم بعباده، فلم يرد إهلاكهم بهذه المصيبة، وإنما يحب منهم التضرع إليه، يقول سبحانه: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (النمل: ٦٢)، يروى لابن القيم قوله عندما رأى شخصًا يشكو ما ألمّ به في مصيبته إلى الخلق: يا هذا تشكو من يرحم على من لا يرحم، ومن يملك الأمر، ويزيل الضرّ، على من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا؟ ما زدت على أن شكوت من يرحمك، على من لا يرحمك.

- ومما تسلو به النفس عند المصيبة، أن يتذكر المصاب هذا الحديث، عندما سئل ﷺ: أي الناس أشدّ بلاءًا؟ فقال ﷺ: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقّة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، ما عليه خطيئة». رواه الترمذي في باب ما جاء في الصبر على البلاء.

وقد روى سعيد بن منصور أن ابن عباس رضي اللَّه عنهما، نعي إليه أخوه قثم- وهو في سفر- فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ راحلته، ثم صلى ركعتين، فأطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته، وهو يقول: (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) (البقرة: ٤٥).

- وإذا عرف المصاب بالمصيبة أن الله قد جعل المصيبة دافعًا لتقوية الإيمان، وأمر سبحانه بالالتجاء إليه: دعاءً واسترجاعًا، وتحملاً وصبرًا، وقد وعده على ذلك بالبشارة العاجلة، والأجر الجزيل في الآخرة... وهو وعد من اللَّه، ووعده سبحانه حقّ، فإن هذا من أمكن الطرق في التسلية، وامتثال القدوة بالعمل والاحتساب، يقول سبحانه: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ. أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)، ففيها بشائر ثلاث كل واحدة لها وزنها ودورها في سعادة النفس البشرية، وراحتها.

- وغير ذلك من الأمور، التي يجب أن يتمعّن فيها المرء، وفي مردودها على المصيبة والمصاب،

بما تسلو به القلوب، وتتعزّى به النفوس، حيث تخفّف وطأة المصيبة، بجانب ما يحسّ به المصاب المحتسب في تعامله مع المصيبة، فيجد لذة ومسرة، أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، فقد روي في باب الزهد مرفوعًا: «يودّ ناس، لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض، لما يرون من ثواب أهل البلاء».

فالله سبحانه وتعالى، إذا أراد بعبده خيرًا، ابتلاه على قدر حاله، حتى إذا هذّبه ونقّاه، وصفاه، أهّله لأشرف مراتب العبودية في الدنيا.. ويحدّد الشاعر مكانة الابتلاء عند الناس بقوله:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض القوم بالنّعم

ولا يجب أن يظن المرء أن الصحة والجاه والمال، نعمة، بل هي امتحان، لينظر الله ما يعمل فيها، ولا ما يقع على بعض الناس من مصائب وآفات، أن ذلك نقمة، بل قد تكون نعمة يؤجر عليها، بعدما امتحن الله إيمانه، وبرزت من ذلك خصال نفسه في حسن التحمّل، وكيفية التعامل مع المصائب: من رضا وقناعة، ودعاء وضراعة، وصبر وحسن تحمل.

يقول ابن الجوزي رحمه الله في «صيد الخاطر»: البلايا على مقادير الرجال، فكثير من الناس تراهم ساكتين راضين بما عندهم، من دين ودنيا، وأولئك قوم، لم يرادوا لمقامات الصبر الرفيعة، أو أن الله سبحانه علم ضعفهم عن مقاومة البلاء، فلطف بهم.

وقصة عروة بن الزبير رحمه الله في صبره وقوّة تحمله عندما حلّت به مصائب عديدة، وهو في الشام عند الوليد بن عبد الملك، فقد رفست فرس ابنه محمدًا ومات، وأصابته الأكلة في رجله، فرأى الأطباء قطعها، حتى لا تنتقل إلى سائر جسده، وعندما جاءوا لقطعها. قالوا له: نسقيك المرقد- أي البنج- فقال: إنما امتحنني ربي ليعرف مقدار صبري واحتسابي، قالوا: إذاً فإنا نسقيك الخمر، حتى لا تشعر، قال: لا أستعين بمعصية الله على طاعة الله، قالوا: إذًا نأتي برجال ليشدّوك، حتى لا تتحرك، قال: يقول سبحانه: (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ).

ثم قال: إذا سجدت فسوف أمدّها لكم وشأنكم بها، فقطعوها وهو ساجد، لم يتحرك. ولما سأله الوليد؟ قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا.

وقد جاء للوليد بن عبد الملك شيخ من عبْس كفيف البصر، ولما جلس عنده في عشيّة أحد الأيام، سأله الوليد عن حاله؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لقد بتّ في ليلة من الليالي، وما في عبس رجل أكثر مني مالاً وخيلاً وإبلاً وولدًا، ولا أعزّهم نفرًا، وأكثرهم جاهًا. فطرقنا سيل جذب، وذهب بالأهل والولد والمال وجميع الممتلكات، ولم يبق من ذلك إلا: غلام ولد حديثًا، وبكر شرود- وهو ولد الناقة الصغير- فاتجهت للصبي وحملته، ثم لحقت بالبكر الذي فرّ، ولما عجزت عن اللّحاق به، وضعت الصبي في الأرض، وسرت وراء البكر، فسمعت صراخ الصبي، ولما رجعت إليه وجدت الذئب قد أكله، فلحقت بالبعير، ولما أمسكت به، رمحني برجله على وجهي، فذهب بصري، وألقاني على قفاي، ولما أفقت إذا بي بعدما كنت في المساء من أصحاب الثروة والمال الحلال والولد والجاه والمكانة بين القبائل، قد أصبحت في الغداة، صفر اليدين، لا بصر في عينيّ، ولا ولد ولا أهل، ولا مال، ولا غيره. فحمدت الله على ذلك، فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروة بن الزبير، ليعلم أن في الدنيا من هو أكثر منه بلاءً، وأشد تحملاً وصبرًا.

ولابن القيم رحمه الله في كتابه «شفاء العليل باختصار الدليل»، وابن الجوزي في مواعظه المجموعة في كتابه «صيد الخاطر»، وغيرها من المهتمين بالرقائق، ما يعالج قسوة القلوب، ويعين على الصبر والتحمل، عندما تنزل البلوى، واحتساب العمل معها قربة عند الله، تخف به المصيبة، ويعظم معه الأجر.

نسأله سبحانه الصبر على المصائب، والرضا بالنعم. والحمد لله رب العالمين.

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها

الشيخ / أبو إسحاق الحويني

□ □ يسأل القارئ: الشناوي محفوظ- شبرا الخيمة- عن درجة هذه الأحاديث:

١- ما اختلط حبي بقلب عبد فأحبني إلاَّ حرمه اللَّه على النار.

٢- أن رجلاً ذهب إلى قوم فقال: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم، وأن تزوجوني، فأرسلوا إلى النبي ﷺ فأمر بقتله، فلما دفنوه لفظته الأرض.

□ والجواب بحول الملك الوهاب:

أما الحديث الأول: «ما اختلط حبي...» **فباطلٌ موضوعٌ.**

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢٥٥، ٢٥٦)، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن حميد، ثنا أحمد بن محمد بن سعيد، ثنا محمد بن عيسى، ثنا السري بن مرثد، ثنا إسماعيل بن يحيى، ثنا مسعر، عن عطية قال: كنت مع ابن عمر جالسًا، فقال رجل: لوددت أني رأيت رسول الله ﷺ، فقال له ابن عمر: فكنت تصنع ماذا؟ قال: كنت والله أومن به، وأُقَبل ما بين عينيه. فقال ابن عمر: ألا أبشرك؟ قال: بلى. يا أبا عبد الرحمن! فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما اختلط حبي بقلب عبد فأحبني إلا حرم اللَّه جسده على النار» ثم قال: «ليتني أرى إخواني وردوا علي الحوض فأستقبلهم بالآنية فيها الشراب فأسقيهم من حوضي قبل أن يدخلوا الجنة» فقيل له: يا رسول اللَّه، أولسنا إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابي وإخواني من آمن بي ولم يرني، إني سألت ربي أن يقر عيني بكم وبمن آمن بي ولم يرني».

قال أبو نعيم: غريب من حديث مسعر، تفرد به: إسماعيل، وعنه السري.

قُلْتُ: وهذا سند ساقطٌ البته، وإسماعيل بن يحيى هالكٌ: كذبه الدارقطني والحاكمُ وأبو علي النيسابوري الحافظ. وقال صالح جزرة: (كان يضعُ الحديث). بل قال الأزديُّ: (ركن من أركان الكذب، لا تحلُّ الروايةُ عنه)، كان يحدث عن مسعر وابن جريج بالأباطيل؛ لذلك قال الذهبي في «الميزان» (١/٢٥٣): (مجمعٌ على تركه). وفي الإسناد إليه: أحمد بن محمد بن سعيد، وهو المعروف بابن عقدة. فهو مع حفظه، فقد اتهم بسرقة الحديث.

وأمَّا الحديث الثاني: فإن السائل دخل له حديثٌ في حديثٍ، فهذا السياق الذي ذكره يتألف من حديثين؛ أحدهما ضعيفٌ، والآخر صحيحٌ.

أما الحديث الضعيفُ فأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/١٣٧١، ١٣٧٢)، قال: ثنا الحسن بن محمد بن عنبر، ثنا حجاج بن يوسف الشاعر، ثنا زكريا بن عدي، ثنا علي بن

مسهر، عن صالح بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: كان حي من بني ليث من المدينة على ميلين، وكان رجل قد خطب منهم في الجاهلية فلم يزوجوه، فأتاهم وعليه حلة، فقال: إن رسول الله ﷺ كساني هذه وأمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم، ثم انطلق فنزل على تلك المرأة التي كان خطبها، فأرسل القوم إلى رسول الله ﷺ، فقال: «كذب عدو الله». ثم أرسل رجلاً فقال: «إن وجدته حيًا وما أراك تجده حيًا فاضرب عنقه، وإن وجدته ميتًا فأحرقه بالنار». قال: فجاءه فوجده قد لدغته أفعى فمات، فحرقه بالنار، قال: فذلك قول رسول الله ﷺ: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

قال ابنُ عدي: وهذه القصة لا أعرفها إلا من هذا الوجه، ومن رواية زكريا بن عدي، عن علي بن مُسْهِرٍ، وعن زكريا: حجاج الشاعر.

كذا قال ابن عدي رحمه اللَّه أن حجاج بن يوسف الشاعر وزكريا بن عدي تفرَدا بالحديث وليس كما قال.

فأما حجاج الشاعر، فتابعه محمد بن إسحاق الصغاني، قال: أنا زكريا بن عدي، نا عليُّ بن مُسْهِرٍ، عن صالح بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه قالَ: كان حي من بني كنانة من المدينة على ميلين، فأتاهم رجل وعليه حلة، فقال: إن رسول اللَّه ﷺ كساني هذه الحلة، وأمرني أن أحكم في أموالكم ونسائكم بما أرى، وكان قد خطب امرأة منهم فأبوا أن يزوجوه. قال: ثم انطلق فنزل على تلك المرأة، فأرسل القوم إلى رسول الله ﷺ رسولاً، فأخبره، فقال: «كذب عدوّ الله»، وأرسل رجلاً، وقال: «إن وجدته حيًا فاضرب عنقه، ولا أراك تجده حيًا، وإن وجدته ميتًا فأحرقه بالنار». قال: فجاء فوجده قد لدغته أفعى فمات.

فذلك قول رسول اللَّه ﷺ: «من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار».

أخرجه الروياني في «مسنده» (٣٤) قال: أخبرنا محمد بن إسحاق به.

وأما زكريا بن عدي، فتابعه يحيى بن عبد الحميد الحماني، ثنا علي بن مسهر، عن صالح بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه أن النبي ﷺ بَلَغَه أنَّ رجلاً قال لقوم: إن النبي ﷺ: «أمَرَني أن أحكم فيكم برأيي وفي أموالكم كذا وكذا»، وكان خَطبَ امرأة منهم في الجاهلية فأبوا أن يُزَوِّجُوه، ثم ذهب حتى نزل على المرأة، فبعث القومُ إلى رسول الله ﷺ، فقال: «كَذَبَ عَدُوُّ الله». ثم أرسل رجلاً فقال: «إن وَجَدْتَه حَيًا فاقتله، وإن أنت وجدته ميتًا فحرقه بالنار»، فانطلق فوجده قد لُدغَ فمات، فحرقه بالنار، فعند ذلك قال رسول الله ﷺ: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

أخرجه أبو القاسم البغويُّ في «حديثه» - كما في «الصارم المسلول» (ص١٦٩) لابن تيمية رحمه قال- قال: حدثنا يحيى الحماني.

وأخرجه الطبراني في «جزء من كذب عليَّ» (١٤٦) قال: حدثنا محمد بن عبد الله المضريَ وتمام الرازي في «الفوائد» (٧٤٥) من طريق محمد بن جعفر بن الإمام. وابنُ الجوزي في «الموضوعات» (١/٨٤) من طريق إبراهيم الحربي قالوا: ثنا يحيى الحماني بسنده سواء بآخره دون القصة. وصحَّح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصارم» (ص١٧٠)، وقال: (هذا إسنادٌ صحيحٌ على شرط الصحيح لا نعلم له علةً) كذا قال! وعلَّتُهُ ظاهرةٌ، وهي صالح بن حيان ضعَّفه ابنُ معين. وقال النسائيُّ: (ليس بثقة). وقال البخاري: (فيه نظرٌ). وقال أبو حاتم والدارقطنيُّ: (ليس بالقوي). وقال ابنُ حبان: (يروي عن الثقات أشياء لا تشبه حديث الأثبات، لا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد). انتهى. ولا أعلمُ أحدًا تابعه على هذه القصة بعد التفتيش. والله أعلم.

أما الحديثُ الصحيح والذي أشار إليه القارئ في الشطر الثاني من سؤاله: فأخرجه البخاري في «كتاب المناقب» (٦/٦٢٤)، واللفظُ له، قال: حدثنا أبو معمر- هو عبدالله بن عمرو المقعد- وأبو يعلى في «مسنده» (ج٧/ رقم ٣٩١٩) قال: حدثنا جعفر بن مهران قالا: ثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس رضي اللَّه عنه قال: كان رجلٌ نصرانيًا فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًا، فكان يقول: ما يدري محمدُ إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوهُ. فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد

لفظته الأرض. قالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه.

وأخرجه مسلم (١٤/٢٧٨١)، وأحمد (٣/٢٢٢، ٢٢٣)، والطيالسيُّ في «مسنده» (٢٠٢٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٢٧٨)، وابنُ أبي داود في «المصاحف» (٣)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٦٤) عن ثابت البناني، عن أنس. وأخرجه أحمد (٣/١٢٠، ١٢١)، وابن حبان (٧٤٤)، والطحاوي في «المشكل» (٤/٢٤٠)، وابنُ عدي في «الكامل» (٧/٢٦٨٠)، والبيهقيُّ في «عذاب القبر» (٦٥)، والبغويُّ في «شرح السنة» (١٣/٣٠٥، ٣٠٦) من طرقٍ عن حميد الطويل، عن أنس. وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (١٢٨٠)، وأبو عوانة، كما في «إتحاف المهرة» (١/٥٢٦) للحافظ- من طريق سليمان بن المغيرة، عن أنس، وفي حديث حميد، عن أنس قال: وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ فينا، يعني: عظم قدرُه فينا.

□ □ ويسأل القارئ: شعبان عبد العزيز الصياد فيقول: هل صحَّ أن عمر بن الخطاب حرق بالنار رجلاً كوى مولًى له؟ وكيف يتفق هذا مع نهي النبي ﷺ عن التعذيب بالنار؟

□ **والجواب بحول الملك الوهاب:** أمَّا هذا الذي ذكره السائلُ فلم أقف عليه، ولا أظنه وقع، بل الذي وقفتُ عليه بخلاف ما ذكر. فقد أخرج العقيلي في «الضعفاء» (٣/١٨٢) معلقًا ووصله الحاكم (٤/٣٦٨) وابنُ عدي في «الكامل» (٣/١٧١٣) من طرقٍ عن الليث بن سعد، عن عمر بن عيسى القرشي، ثم الأسدي، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح. عن ابن عباس أنه قال: جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب فقالت: إن سيدي اتهمني فأقعدني على النار؟ حتى احترق فرجي، فقال لها عمر: هل رأى ذلك عليك؟ قالت: لا، قال: فاعترفتِ له بشيء؟ قالت: لا، قال عمر: عليَّ به، فلما رأى عمر الرجل قال: أتعذب بعذاب الله؟ قال: يا أمير المؤمنين، اتهمتها في نفسها، قال: أرأيت ذلك عليها؟ قال الرجل: لا، قل: أفاعترفت لك به؟ قال: لا، قال: والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يُقاد مملوك من مالكه ولا ولد من والده» لأقدتها منك، فبرزه فضربه مائة سوط، ثم قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، وأنت مولاة الله ورسوله، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حرق بالنار أو مثل به فهو حر وهو مولى الله ورسوله».

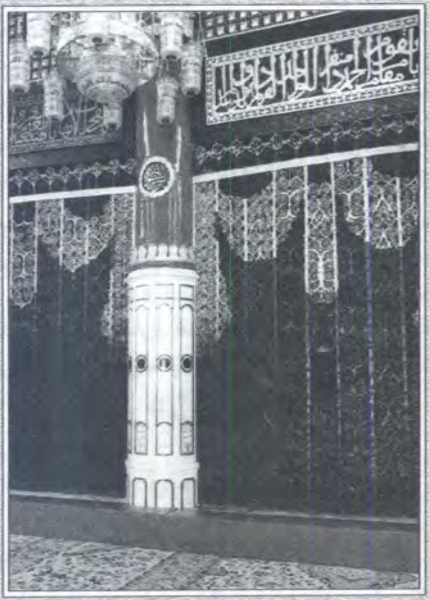

قال الليث: هذا أمرٌ معمول به. قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج، إلا عمر بن عيسى، تفرد به الليث.

وهذا حديث منكرٌ، وآفته عمر بن عيسى هذا، فقد ترجمه البخاري في «الكبير» (٣/٢/١٨٢)، وقال: منكر الحديث. ونقل العقيلي وابنُ عدي كلام البخاري فيه. وصرَّح ابنُ عدي والعقيلي أنه تفرَّد به كما قال الطبراني. وبهذا تعلم ما في قول الحاكم: (صحيح الإسناد)! وقد أورد له الحاكم شاهدين دون القصة. إنما الذي صحَّ أنه حرَّق بالنار فهو علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.

فقد أخرج البخاري في «كتاب الجهاد» (٦/١٤٩)، وفي «استتابة المرتدين» (١٢/٢٦٧) من طريق عكرمة قال: أتى عليٌّ رضي اللَّه بزنادقةٍ فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباسٍ فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله ﷺ: «لا تعذبوا بعذاب

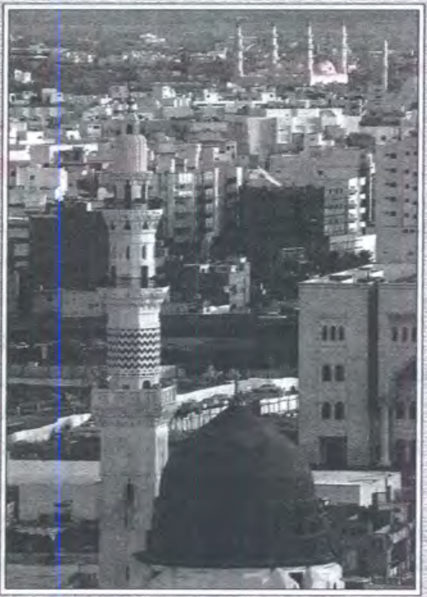

الله»، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه». وقال بعض الناس: إنه لم يحرقهم، وإنما حفر لهم خندقًا. ورُدَّ ذلك عليه.

فأخرج الحميديُّ في «مسنده» (٥٣٣)، والبيهقي (٧١/٩) من طريق محمد بن عبادٍ قالا: ثنا سفيان بن عيينة، ثنا أيوب، عن عكرمة قال: لما بلغ ابنَ عباسٍ أنَّ عليًا أحرق المرتدين- يعني الزنادقة- قال ابنُ عباس: لو كنتُ أنا لقتلتهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»، ولم أحرقهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحدٍ أنْ يعذب بعذاب الله».

قال سفيان: فقال عمارٌ الدُّهني وهو في المجلس- مجلس عمرو بن دينار- وأيوبُ يحدِّثُ بهذا الحديث إن عليًا لم يحرقهم إنما حفر لهم أسرابًا وكان يدخل عليهم منها حتى قتلهم، فقال عمرو بن دينار: أما سمعت قائلهم وهو يقول:

لترم بي المنايا حيثُ شاءت
إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما قرَّبوا حطبًا ونارًا
هناك الموتُ نقدًا غير دين

وقد روى هذا الحديث جرير بن حازم، عن أيوب السختياني بالسند المتقدم، وزاد فيه: فبلغ ذلك عليًا- يعني: اعتراض ابن عباس- فقال: ويح ابن أم الفضل، إنه لغواصٌ على الهنات. أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٦١، ٣٨٥)، ويعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٥١٦/١)، ومن طريقه البيهقي (٢٠٢/٨)، وتعليقُ عليٍّ رضي الله عنه يحتمل وجهين: الأول: أنه قالها توجعًا، حيث إن النهي عن التحريق حمله عليٌّ على كراهة التنزيه، وحمله ابنُ عباس على التحريم، فأنكره عليٌّ وتوجع لذلك.

والثاني: أن يكون قالها رضى بما قال، وأنه حفظ ما نسيه بناءً على أحد ما قيل في كلمة (ويح)، وأنها تقالُ بمعنى المدح والتعجب، ويحتمل أن يكون عليٌّ توجع أن ابن عباس لم يبادر بتذكيره. ويدلُّ على أنه إنما قالها موافقًا لابن عباس لا معارضًا ما رواه عبد الوهاب الثقفي عن أيوب السختياني في هذا الحديث قال: فبلغ ذلك عليًا، فقال: صدق ابنُ عباس. أخرجه الترمذيُّ (١٤٥٨)، وقال: حسنٌ صحيحٌ. والله أعلم.

□ □ ويسأل القارئ: ممدوح بسطويسي- المنشأة- محافظة سوهاج عن درجة هذا الحديث: «إن من ورطات الأمور: سفكُ الدم الحرام»؟

□ **الجواب:** هذا الحديث لا أعلمُهُ مرفوعًا. إنما هو موقوفٌ على ابن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (١٨٧/١٢)، ومن طريقه البيهقيُّ (٢١/٨) عن ابن عمر قال: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لها لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حلِّه».

وإنما أخذ ابنُ عمر هذا المعنى من حديث النبي ﷺ والذي يرويه هو: «لا يزال المؤمن في فُسحةٍ من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا». أخرجه البخاري (١٨٧/١٢)، وأحمد (٩٤/٢)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨٥٦)، وابنُ عاصم في «الديات» (ص٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبير» (٢١/٨)، وفي «شعب الإيمان» (٥٣٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٨/١٠، ١٤٩) من طريق إسحاق بن سعيد بن عمرو، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعًا. واستدركه الحاكم (٣٥١/٤) فوهم.

والحمدُ لله رب العالمين.

الفتاوى

يجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

الشيخ: محمد صفوت نور الدين

د. جمال المراكبي

إذا بلغ المال نصابـاً.. وجبت فيـه الزكـاة!!

☐ **يسأل القارئ: أحمد حسن البنا- بلبيس- شرقية:**

عندي مبلغ ثلاثة آلاف جنيه مدخرة لشراء جهاز كمبيوتر، وقد حال عليها الحول، فهل عليها زكاة؟

☐☐ ويسأل قارئ آخر يقول: عندي مبلغ من المال أدخره لنفقات الزواج، وقد بلغ نصابًا وحال عليه الحول فهل عليَّ زكاة، وقد قال لي أحد الإخوة: لا زكاة عليك لأنك طالب نكاح فأنت في حاجة إلى العون والمساعدة، وحق على الله أن يعينك؟

والجواب: إذا بلغ المال نصابًا، وحال عليه عام هجري كامل وهو في حوزتك مدخرًا زائدًا عن الحاجة، بمعنى أنك لا تنفقه بل تدخره، ففيه الزكاة؛ لقول النبي ﷺ: «إذا كانت لك مائتًا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم. وليس عليك شيء- يعني في الذهب- حتى يكون لك عشرون دينارًا، فإذا كان لك عشرون دينارًا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار». سنن أبي داود، بسند صحيح.

فالحديث صريح في زكاة النقدين الذهب والفضة، فنصاب الفضة مائتا درهم، والقَدْر الواجب إخراجه خمسة دراهم، أي ربع العشر، ونصاب الذهب عشرون دينارًا، والقدر الواجب إخراجه نصف دينار- أي ربع العشر أيضًا.

والعملات النقدية تدخل في حكم النقدين: الذهب والفضة فتلحق بهما، وقد قدر العلماء نصاب الذهب بما يعادل ثَمَن خمسة وثمانين جرامًا من الذهب، وهي تعادل عشرين دينارًا من الدنانير المعهودة في زمن التشريع.

فمن بلغ ماله هذا القدر، فائضًا زائدًا عن حاجاته، وحال عليه حول كامل فعليه أن يخرج زكاته، في كل ألف خمسة وعشرون أي ربع العشر.

أما كونك تدخر المال لشراء الكمبيوتر، أو لشراء لوازم الزواج، أو للحج لبيت الله الحرام فليس بمانع من إخراج الزكاة طالما توفرت شروط إخراجها.

أما حين تشتري الكمبيوتر، أو تنفق المال في تأثيث منزل الزوجية، فلا زكاة عليك في أثاث المنزل أو في جهاز الكمبيوتر؛ لأن الزكاة لا تكون في المتاع، وإنما تكون في المال المدخر الفائض عن حاجتك إذا مر عليه عام هجري كامل. والله أعلم.

يجوز شرب هذا الشراب بشروط!!

□ ويسأل بعض العاملين بشركة بيبسكو عن حكم المشروبات التي تنتجها الشركة وتوزعها بالملاهي والقرى السياحية ليتم خلطها بالخمور عند شربها؟

□ □ **والجواب**: إذا كان هذا المنتج خال من الكحول، ولا يؤدي كثيره إلى الإسكار وكان يُشرب على حالته بغير الإضرار بشاربه فهو مباح حلال.

أما إذا كان هذا المنتج قد تم تصنيعه خصيصًا ليضاف على كئوس الخمر، ولا يتناوله الناس وحده، فإنه في هذه الحالة يأخذ حكم الخمر في التحريم، فيحرم إنتاجه وتوزيعه؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان.

ولا يعني هذا أن كل مادة توضع على الخمر عند الشرب تكون محرمة في الأصل، فبعض الناس يضع مكعبات الثلج على الخمر، وبعضهم يضع الماء على الخمر، ولا يعني هذا أن الثلج أو الماء حرام في الأصل، ولكنه في هذه الحالة يصبح حرامًا على من يقوم بتصنيعه وتوريده وتوزيعه وحمله وشربه؛ لأن الوسائل تأخذ حكم المقاصد والغايات.

وقد حرم النبي ﷺ بيع العنب لمن يتخذه خمرًا، مع أن بيع العنب وأكله في الأحوال العادية لا يحرم.

ونصيحتي للعاملين في هذه الشركة أن يتقوا الله عز وجل، وألا يشاركوا في الإثم والعدوان، وأذكرهم بقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، وليعلموا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف.

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا).

خلعك للنقاب لا يمنع من لبسه مرة أخرى!!

□ تسأل سائلة:

ما حكم من لبست النقاب ثم خلعته؟ وهل يجوز لبسه مرة أخرى، ولكني أخشى أن أخلعه؟ وهل يجوز للمنتقبة نتف الحواجب؟

□ □ **الجواب**: خلعك للنقاب لا يمنع من لبسه مرة أخرى؛ لأن النقاب من الأمور الشرعية، اختلف أهل العلم في وجوبه واستحبابه، وترك الأمر الشرعي لا يكون حجة لعدم فعله بعد ذلك.

ونتف الحواجب حرام؛ لأن النبي (لعن النامصة والمتنمصة.

يجوز لبس الخف بعد الغسل!!

□ ويسأل سائل:

رخص للمسافر بالمسح على الخفين ثلاثة أيام، فهل تجدد هذه المدة إذا نزع بسبب الجنابة؟

□ □ **الجواب**: إذا نزع الخف بسبب الجنابة، فإنه يجوز لبسه بعد الغسل وتحتسب المدة كاملة بعد لبسه على طهارة كاملة، ولا تبنى على المدة السابقة بل تحتسب مدة جديدة. والله أعلم.

تدرك الركعة بإدراك تسبيحة واحدة!!

□ ويسأل سائل:

ورد عن رسول الله ﷺ (أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، فما حكم من أدرك الإمام وهو راكع؟

□ □ **الجواب**: إذا أدركت الإمام راكعًا، فكبر تكبيرة الإحرام ثم اركع، فإذا أدركت معه الركوع مطمئنًا ولو بإدراك تسبيحة واحدة فقد أدركت الركعة.

وأما القيام وقراءة الفاتحة في هذه الحالة فإنها تسقط عنك، وهو قول جمهور الفقهاء.

لا تجب التسمية على العظم!!

□ ويسأل سائل:

هل يجب التسمية على العظم عند إلقائه في القمامة، حيث إن بعضهم أوجب التسمية عليه عند إلقائه حتى يأكله الجن المؤمن؟

□ □ الجواب: لا تجب التسمية على العظم عند إلقائه في القمامة، وإنما يكفى ذكر اسم اللَّه عند الذبح، وقول النبي ﷺ (للجن: «لكم كل عظم ذكر اسم اللَّه عليه أوفر ما يكون لحمًا»، فالمراد ذكر اسم اللَّه عليه عند الذبح، أي يأكلون عظام كل ذبيحة حلال، ولا يأكلون عظام الميتة ولا ذبيحة الكافر؛ لأنها حرام.

الحلي الملبوس لا زكاة فيه!!

□ ويسأل سائل:

هل يجب في الحلي الذي تلبسه النساء للزينة زكاة إذا بلغ النصاب؟ وما حكمه إذا لم يبلغ النصاب إلا بانضمامه لمال الزوج، وما حكمه إذا كان دون النصاب؟

□ □ **الجواب**: جمهور العلماء على أن الحلي الملبوس لا زكاة فيه، وإن بلغ النصاب؛ وذلك إنما يكون في الحلي الذي تلبسه المرأة دائمًا. أما ما يكون متعددًا تبدل فيه كتبديلها للثياب فهذا فيه الزكاة؛ لأن هذه سمة ادخار، وقيمتها ربع العشر في كل حول، وكذلك تجب الزكاة في الحلي المتخذ للادخار إذا بلغ نصابًا وحال عليه الحول، ونصاب الذهب عشرون دينارًا، وهو ما يساوي خمسة وثمانين جرامًا من الذهب، وقد سبق بيانه.

وأما عن حكمه إذا لم يبلغ النصاب إلا بانضمامه لمال الزوج: فهو مال خاص لها، طالما أن الزوج لم يُصرح لها بأنه إعارة، أو يحتفظ لنفسه بملكيته لهذا الذهب، وإذا كان دون النصاب فلا زكاة فيه. واللَّه أعلم.

يجوز إيداع الأموال في البنوك الإسلامية!!

□ ويسأل سائل:

ما حكم إيداع الأموال في بنك فيصل، والبنوك الأخرى التي تطلق على نفسها البنوك الإسلامية؟

□ □ **الجواب**: يجوز أن يُودع المسلم أمواله في البنوك الإسلامية، وأن يأخذ أرباحها، فإن أراد أن يستفيد من أموال البنك بالمشاركة أو المضاربة، أو غيرها من الصور الحلال؛ وَجَبَ عليه أن يراقب التطبيق في ذلك ليوافق به الشرع. واللَّه أعلم.

للزوج النصف فرضًا!!

□ ويسأل: حسن بابكر- أسوان- يقول:

تُوفيت امرأة وتركت زوجًا وأخوين شقيقين وأربع أخوات شقيقات، وجدها لأبيها وجدها لأمها وجدتها لأمها، فمن يرث ومن لا يرث، وما نصيب كل وارث؟

□ **الجواب**: للزوج النصف فرضًا؛ لعدم وجود فرع وارث، لقول الله تعالى: (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ)، وللجدة أم الأم السدس فرضًا؛ لما صح في السنة وأجمعت عليه الأمة أن رسول الله ﷺ قضى للجدة بالسدس، والباقي يقسم بين الجد لأب- وهو الجد الصحيح الذي لا يدخل في نسبته إلى الميت أنثى- وبين الإخوة والأخوات الأشقاء للذكر مثل حظ الأنثيين، بشرط ألا يقل نصيب الجد عن سدس التركة.

فتاوى

أجاب عليها: سماحة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

الصلوات في المسجد دليل على الإيمان!!

□ س: هل يُشهد للرجل بالإيمان بمجرد اعتياده المساجد كما جاء في الحديث؟

□ □ **الجواب**: نعم، لا شك أن الذي يحضر الصلوات في المساجد، حضوره لذلك، دليل على إيمانه، لأنه ما حمله على أن يخرج من بيته ويتكلف المشي إلى المسجد إلا الإيمان بالله عز وجل.

وأما قول السائل: كما جاء في الحديث، فهو يشير إلى ما يروى عن النبي ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان». ولكن هذا الحديث ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ.

من يدَّعي الغيب فقد كفر!!

□ س: ما حكم من يدَّعي علم الغيب؟

□ □ **الجواب**: الحكم فيمن يدَّعي علم الغيب أنه كافر؛ لأنه مكذِّب لله عز وجل، قال اللَّه تعالى: (قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النمل: ٦٥)، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمدًا ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب، فقد كذب الله عز وجل في هذا الخبر. ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب، والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟! فإن قالوا نحن أشرف من الرسول، كفروا بهذا القول، وإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟! وقد قال الله عز وجل عن نفسه: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلاَ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (الجن: ٢٦، ٢٧). وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملأ بقوله: (قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ) (الأنعام: ٥٠).

حكم الرقية وكتابة الآيات وتعليقها!!

□ س: ما حكم الرُّقْيَة؟ وما حكم كتابة الآيات وتعليقها في عنق المريض؟

□ □ **الجواب**: الرقية على المريض المصاب بسحر أو غيره من الأمراض لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم، أو من الأدعية المباحة، فقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه كان يرقي أصحابه، ومن جملة ما رقاهم به: «ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، أنزل رحمة من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع». فيبرأ. ومن الأدعية المشروعة: «باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك». ومنها أن يضع الإنسان يده على الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: «أعوذ بالله وعزته من شر ما أجد وأحاذر». إلى غير ذلك مما ذكره أهل العلم من الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ.

وأما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها فقد اختلف أهل العلم في ذلك؛ فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، والأقرب المنع من ذلك؛ لأن هذا لم يرد عن النبي ﷺ، وإنما الوارد أن يقرأ على المريض، أما أن تعلق الآيات أو الأدعية على المريض في عنقه، أو في يده، أو تحت وسادته وما أشبه ذلك، فإن ذلك من الأمور الممنوعة، على القول الراجح لعدم ورودها، وكل إنسان يجعل من الأمور سببًا لأمر آخر بغير إذن من الشرع، فإن عمله هذا يعد نوعًا من الشرك؛ لأنه إثبات سبب لم يجعله الله سببًا.

حكم كتابة آية الكرسي على الأواني!!

☐ س: هل تجوز كتابة بعض آيات القرآن الكريم «مثل آية الكرسي» على أواني الطعام والشراب لغرض التداوي بها؟

☐ ☐ **الجواب**: يجب أن تعلم أن كتاب الله عز وجل أعز وأجل من أن يمتهن إلى هذا الحد ويبتذل إلى هذا الحد، كيف تطيب نفس مؤمن أن يجعل كتاب الله عز وجل وأعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي أن يجعلها في إناء يشرب فيه، ويمتهن ويرمى في البيت ويلعب به الصبيان؟! هذا العمل لا شك أنه حرام، وأنه يجب على من عنده شيء من هذه الأواني أن يطمس هذه الآيات التي فيها، بأن يذهب بها إلى الصانع فيطمسها، فإن لم يتمكن من ذلك فالواجب عليه أن يحفر لها في مكان طاهر ويدفنها، وأما أن يبقيها مبتذلة ممتهنة يشرب بها الصبيان ويلعبون بها فإن الاستشفاء بالقرآن على هذا الوجه لم يرد عن السلف الصالح رضي الله عنهم.

حصر آيات الله سبحانه!!

☐ س: هل أسماء الله تعالى محصورة؟

☐ ☐ **الجواب**: أسماء الله ليست محصورة بعدد معين، والدليل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك». إلى أن قال: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك». وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن أن يعلم به، وما ليس معلومًا ليس محصورًا.

وأما قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة». فليس معناه أنه ليس له إلا هذه الأسماء، لكن معناه أن من أحصى من أسمائه هذه التسعة والتسعين فإنه يدخل الجنة، فقوله: «من أحصاها» تكميل للجملة الأولى وليست استئنافية منفصلة، ونظير هذا قول العرب: عندي مائة فرس أعددتها للجهاد في سبيل الله، فليس معناه أنه ليس عنده إلا هذه المائة؛ بل هذه المائة معدة لهذا الشيء.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اتفاق أهل المعرفة في الحديث على أن عدها وسردها لا يصح عن النبي ﷺ. اهـ. وصدق رحمه الله بدليل الاختلاف الكبير فيها، فمن حاول تصحيح هذا الحديث، قال: إن هذا أمر عظيم لأنها توصل إلى الجنة فلا يفوت على الصحابة أن يسألوه ﷺ عن تعيينها، فدل هذا على أنها قد عينت من قبله ﷺ. لكن يجاب عن ذلك بأنه لا يلزم ولو كان كذلك لكانت هذه الأسماء التسعة والتسعين معلومة أشد من علم الشمس ولنقلت في الصحيحين وغيرهما؛ لأن هذا مما تدعو الحاجة إليه وتلح بحفظه فكيف لا يأتي إلا عن طريق واهية وعلى صور مختلفة. فالنبي ﷺ لم يبينها لحكمة بالغة وهي أن يطلبها الناس ويتحروها في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، حتى يتبين الحريص من غير الحريص.

وليس معنى إحصائها أن تكتب في رقاع ثم تكرر حتى تحفظ، ولكن معنى ذلك:

أولاً: الإحاطة بها لفظًا.

ثانيًا: فهمها معنى.

ثالثًا: التعبد لله بمقتضاها، ولذلك وجهان:

الوجه الأول: أن تدعو الله بها؛ لقوله تعالى: (فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف: ١٨٠). بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك، فعند سؤال المغفرة تقول: يا غفور اغفر لي، وليس من المناسب أن تقول يا شديد العقاب اغفر لي، بل هذا يشبه الاستهزاء، بل تقول أجرني من عقابك.

الوجه الثاني: أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء، فمقتضى الرحيم الرحمة، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالبًا لرحمة الله، هذا هو معنى إحصائها، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمنًا لدخول الجنة.

لاهاي والعدل الإلهي

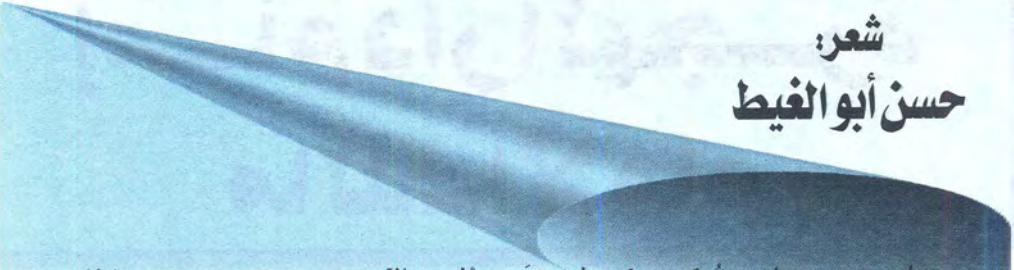

شعر:
حسن أبو الغيط

«سلو بودايهُ» كم كنتَ
سجين لا ترى إلا
حزينًا في الدجى تلقى
لقد أحزنتنا عمرًا
تجرعنا الردى مرًا
أمتَّ العمر آمالاً
ألا فاشرب كما شربتْ
كذا الإجرام أحزانٌ
رئيسًا كنت يا رأسًا
لقد أصبحت محبوسًا
هنا الظلمات حراسٌ
وكم حرسوك أيامًا
كفرت بنعمة كانت
كذلك كل مفتون
ظلمتَ الكل لم تعدلْ
كم استُرحمت لم ترحمْ
تصير الآن مثلهمو
كفاك غزوت أوطانًا
وكم أزهقت أرواحًا
وكم آلمْتَ أعراضًا
لآلافٍ مؤلفةٍ
كريح كنت هائجةٍ
قتلت هتكت لم تترك
كثيرًا عشت إجرامًا
هنا نارٌ ومقْصلةٌ
هنا موت لمن يصبو
سيحيي الله ميّتنا
لقد أفرحت أمتنا
وأنت الآن ما أنت
جرائمك التي كنت
من الأحزان ما شئتَ
فذقْ من حزننا وقتا
تجرَّعْ مرةً..متَّ
ورمْت حياتنا موتًا
نفوس مُرٌ ما رمْت
وكم يا حزن أحزنت
تكسّر فانسَ ما كنت
فحرًا كنت كم سؤت
عليك.. هناك أظلمت
وكم صانوا وما صنت
فبؤت بنقمة بؤت
يذوق الويل ما ذقت
ولم ترحم تجبرت
ولم تسمع لهم صوتا
بلا صوت هنا صمتا
وكم بالحرب خرَّبت
بريحك أنت كم هجْت
لكم عِرضٍ تعرَّضت
بذا الإسراف سافرت
طوال العمر أسرفت
وكنت هناك ما كنت
من الإجرام أكثرت
لمن يتعشّق الموت
إلى موت فمتْ أنت
ليشهد كيف قدْ متَّ
وكم قد كنت أحزنت

الإعلام بسير الأعلام

إمـــام دار الهجـــرة
مالك الإمام

بقلم الشيخ: مجدي عرفات

نسبه: هو شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي.

مولده: ولد على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل، وطلب العلم وهو حدث بُعَيد موت القاسم وسالم، فأخذ عن نافع وسعيد المقبري... وخلق.

قال الذهبي: وكنت قد أفردت أسماء الرواة عنه في جزء كبير يقارب عددهم ألفًا وأربعمائة.

صفته: كان طوالاً جسيمًا عظيم الهامة أشقر أبيض الرأس واللحية، عظيم اللحية، أصلع، وكان لا يُحفي شاربه ويراه مُثْلَةً، وقيل: كان أزرق العينين، وكان نقي الثوب رقيقه، يكثر اختلاف اللبوس، وكان يلبس البياض، وكان إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه ويسدل طرفها بين كتفيه.

قال أبو عاصم: ما رأيت محدثًا أحسن وجهًا من مالك.

طلبُهُ للعلم: طلب مالك العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حيٌّ شاب طريٌّ، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد وإلى أن مات. وقد ورد في فضله حديث من طريق ابن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالمًا أفضل من عالم المدينة»(١). ويروى عن ابن عيينة أنه كان يقول: إنه مالك بن أنس.

قال الذهبي: كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ وصاحبيه، زيد بن ثابت وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بن المسيب، ثم الزهري، ثم عبيد الله بن عمر، ثم مالك، وقال ابن عيينة: مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه، وقال الشافعي: (صدوق وبَر). إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

قال أبو عبد الله الحاكم- وذكر سادة من أئمة التابعين بالمدينة كابن المسيب ومن بعده- قال: ما ضُربت أكباد الإبل من النواحي إلى أحد منهم دون غيره حتى انقرضوا وخلا عصرهم، ثم حدّث مثل الزهري وربيعة ويحيى بن سعيد وعبد الله بن يزيد بن هرمز وأبي الزناد وصفوان بن سليم، وكلهم يفتي بالمدينة، ولم ينفرد واحد منهم بأن ضربت إليه أكباد الإبل حتى خلا هذا العصر، فلم يقع بهم التأويل في عالم أهل المدينة، ثم حدّث بعدهم مالك، فكان مفتيها، فضربت إليه أكباد الإبل من الآفاق واعترفوا له وروت الأئمة عنه ممن كان أقدم منه سنًا كالليث عالم أهل مصر والمغرب، وكالأوزاعي عالم أهل الشام ومفتيهم والثوري

وهو المقدم بالكوفة، وشعبة عالم أهل البصرة... إلى أن قال: وحمل عنه قبلهم يحيى بن سعيد الأنصاري حين ولاه أبو جعفر قضاء القضاة فسأل مالكًا أن يكتب له مائة حديث حين خرج إلى العراق ومن قبل كان ابن جريج حمل عنه. اهـ. رحم الله الجميع.

أهليته للفتيا: قال خلف بن عمر: سمعت مالكًا قال: ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني، هل تراني موضعًا لذلك؟

سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك، فقلت: فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه.

وقد صار الإمام إمامًا يقتدى به فصار له أتباع ومقلدون يتبعون مذهبه مع غلو مرفوض، فقد قال بعض المالكية: قد ندر الاجتهاد اليوم وتعذر، فمالك أفضل من يُقلد، فرجح تقليده. وقال شيخ: إن الإمام لمن التزم تقليده كالنبي مع أمته لا تحل مخالفته. قال الإمام الذهبي رحمه الله: قوله: لا تحل مخالفته مجرد دعوى واجتهاد بلا معرفة، بل له مخالفة إمامه إلى إمام آخر حجته في تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباع الدليل فيما تبرهن له، لا كمن تمذهب لإمام، فإذا لاح له ما يوافق هواه عمل به من أي مذهب كان. ومن تتبع رخص المذاهب وزلات المجتهدين فقد رق دينه كما قال الأوزاعي وغيره: من أخذ بقول المكيين في المتعة والكوفيين في النبيذ والمدنيين في الغناء والشاميين في عصمة الخلفاء، فقد جمع الشر كله، وكذا من أخذ في البيوع بمن يتحيل عليها، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسع فيه وشبه ذلك، فقد تعرض للانحلال، فنسأل الله العافية والتوفيق، ولكن شأن الطالب أن يدرس أولاً مصنفًا في الفقه، فإذا حفظه بحثه وطالع الشروح، فإن كان ذكيًا فقيه النفس ورأى حجج الأئمة فليراقب الله وليحتط لدينه، فإن خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، والمعصوم من عصمه الله، فالمقلَّدون صحابة رسول الله ﷺ بشرط ثبوت الإسناد إليهم ثم أئمة التابعين... ثم ذكر مَن بعدهم، ثم ذكر كلامًا للقاضي عياض في جواز تقليد الأئمة الخمسة مرجحًا مالكًا عليهم، فقال: فحق على طالب العلم أن يعرف أولاهم بالتقليد ليحصل على مذهبه، وها نحن نبين أن مالكًا رحمه الله هو ذلك لجمعه أدوات الإمامة، وكونه أعلم القوم.

قال الذهبي: ولكن ما يعجز كل واحد من حنفي وشافعي وحنبلي وداودي عن ادعاء مثل ذلك لمتبوعه، بل ذلك لسان حاله وإن لم يفُهْ به. ثم قال القاضي عياض: وعندنا ولله الحمد لكل إمام من المذكورين مناقب تقضي له بالإمامة.

قلت- أي الذهبي-: ولكن هذا الإمام وهو النجم الهادي قد أنصف وقال قولاً فصلاً، حيث يقول: (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا صاحب هذا القبر ﷺ). ولا ريب أن كل من أنس من نفسه فقهًا وسعة علم وحسن قصد، فلا يسعه الالتزام بمذهب واحد في كل أقواله؛ لأنه قد تبرهن له مذهب الغير في مسائل ولاح له الدليل وقامت عليه الحجة، فلا يقلد فيها إمامه، بل يعمل بما تبرهن، ويقلد الإمام الآخر بالبرهان، لا بالتشهي والغرض، ولكنه لا يفتي العامة إلا بمذهب إمامه أو ليصمت فيما خفي عليه دليله.

زهده: قدم المهدي فبعث إلى مالك بألفي دينار، أو قال بثلاثة آلاف دينار، ثم أتاه الربيع بعد ذلك فقال: إن أمير المؤمنين يحب أن تُعادِله إلى مدينة السلام (بغداد)، فقال: قال النبي ﷺ: «المدينة خير لهم، لو كانوا يعلمون». متفق عليه، والمال عندي على حاله.

نقده للرجال: وقد كان مالك إمامًا في نقد الرجال، حافظًا مجودًا متقنًا، قال بشر بن عمر الزهراني: سألت مالكًا عن رجلٍ، فقال: هل رأيته في كتبي؟ قلت: لا. قال: لو كان ثقة لرأيته في كتبي. قال الذهبي: فهذا القول يعطيك بأنه لا يروي إلا عمن هو عنده ثقة ولا يلزم من ذلك أنه يروى عن كل الثقات، ثم لا يلزم مما قال أن كل من روى عنه وهو عنده ثقة أن يكون ثقة عند باقي الحفاظ، فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره، إلا أنه بكل حال كثير التحري في نقد الرجال، رحمه الله.

عن ابن عيينة قال: كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحًا، ولا يحدث إلا عن ثقة، ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته- يعني من العلم.

قال عبد الرحمن بن مهدي: لا أقدم على مالك في صحة الحديث أحدًا. قال يحيى القطان: ما في القوم أصح حديثًا من مالك، كان إمامًا في الحديث. قال الشافعي: كان مالك إذا شك في حديثه طرحه كله.

ثناء العلماء عليه:

قال القطان: هو إمام يقتدى به.

قال ابن معين: مالك من حجج الله على خلقه.

قال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك كالنجم، وهو وسفيان القرينان.

قال أسد بن الفرات: إذا أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك.

قال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا ارتفع مثل ما ارتفع مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة. قال الذهبي: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله.

قال ابن وهب: لولا مالك والليث لضللنا. وقال الشافعي أيضًا: ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صوابًا من موطأ مالك.

قال الذهبي: هذا قاله قبل أن يُؤلَّف الصحيحان.

قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال لي محمد (يعني ابن الحسن صاحب أبي حنيفة): أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم؟ يعني أبا حنيفة ومالكًا، قلت: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلت: أنشدك بالله من أعلم بالقرآن؟ قال: صاحبكم. قلت: فمن أعلم بأقاويل الصحابة والمتقدمين؟ قال: صاحبكم. قلت: فلم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول على أي شيء يقيس؟ قلت- أي الذهبي-: وعلى الإنصاف لو قال قائل بل هما سواء في علم الكتاب والأول أعلم بالقياس والثاني أعلم بالسنة وعنده علم جم من أقوال كثير من الصحابة كما أن الأول أعلم بأقاويل علي وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ، فرضي الله عن الإمامين، فقد صرنا في وقت لا يقدر الشخص على النطق بالإنصاف. نسأل الله السلامة.

قال ابن وهب: ما نقلت من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه. قال مصعب بن عبد الله فيه:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان
عز الوقار ونُور سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر.

المحنة: وسببها أن أبا جعفر نهى مالكًا عن الحديث: (ليس على مستكره طلاق) (صحيح موقوف على ابن عباس)، ثم دس من يسأله، فحدثه به على رءوس الناس، فضربه بالسياط.

قال الذهبي: هذا ثمرة المحنة المحمودة أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثير، (ومن يرد الله به خيرًا يصب منه). رواه البخاري. وقال النبي ﷺ: «كل قضاء المؤمن خير له». وقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ)، وأنزل تعالى في غزوة أحد: (أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ). وقال: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)، فالمؤمن إذا امتحن صبر واتعظ واستغفر ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حكَم مقسط، ثم يحمد الله على سلامة دينه ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.

درر من أقواله:

قال رحمه اللَّه: سَنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها والنظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

وقال: الناس ينظرون إلى اللَّه عز وجل يوم القيامة بأعينهم، وقال: الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء.

وقال: القرآن كلام الله، وكلام الله منه وليس من الله شيء مخلوق. وقال: من قال: القرآن مخلوق يُجلد ويُحبس. وفي رواية: يقتل، ولا تقبل له توبة.

دخل عليه رجلٌ، فقال: يا أبا عبدالله، ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال مالك: زنديق اقتلوه. فقال: أبا عبدالله، إنما أحكي كلامًا سمعته، قال: إنما سمعته منك، وعظمٌ هذا القول.

جاءه رجل فقال: يا أبا عبدالله: (الرَّحْمَنُ عَلَى

الْعَرْشِ اسْتَوَى)، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء (العرق الكثير)، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج.

قال رحمه الله: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض.

قال الشافعي: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بينة من ديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك مثلك، فخاصمه. سأله رجل عن القدر فقال: قال الله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا). وقال: رأيي فيهم أن يُستتابوا وإلا قتلوا. يعني القدرية. وقال: القدرية لا تناكحوهم ولا تصلوا خلفهم.

وقال: ما تعلمت العلم إلا لنفسي، وما تعلمت ليحتاج الناسُ إليَّ، وكذلك كان الناس.

وقال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يحدث، قال فلان: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين، وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ، فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت المال لكان أمينًا؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، وقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه. (التمهيد ١/٦٧).

وقال: اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما سمع.

قال ابن مسعود: إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتى لمجنون.

وقال أيضًا: جُنَّةُ العالِم (لا أدري) فإذا أغفلها أصيبت مقاتله. قلت: قال علي رضي اللَّه عنه: يا بردها على الكبد أن تقول لِما لا تعلم: اللَّه أعلم. وقال ابن عبد البر: صح عن أبي الدرداء أن (لا أدري) نصف العلم، وكذا الشعبي.

وقال: لا يؤخذ العلم عن أربعة:

١- سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس.

٢- صاحب بدعة يدعو إلى هواه.

٣- من يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث.

٤- صالح عابد فاضل، إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

وقال: العلم: حيث شاء الله وضعه ليس هو بكثرة الرواية.

وقال: حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حَسَنٌ لمن رزق خيره، وهو قَسْمٌ من الله تعالى، فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه.

وفاته: قال الذهبي: تواترت وفاته سنة تسع وسبعين ومائة.

نقل القاضي عياض أن أسد بن موسى قال: رأيت مالك بعد موته وعليه ثياب طويلة وثياب خضر وهو على ناقة يطير بين السماء والأرض، فقلت: يا أبا عبدالله، أليس قد مت؟ قال: بلى. قلت: فإلى ما صرت؟ قال: قدمت على ربي فكلمني كفاحًا وقال: سلني أعطك، وتمن عليَّ أُرضك.

قال الذهبي: دفن بالبقيع وقبره مشهور يُزار(٢)، رحمه اللَّه. قال ابن القاسم: مات مالك عن مائة عمامة فضلاً عن سواها. قال ابن أبي أويس: بيع ما في منزل خالي مالك من بُسط ومنصات ومخاد وغير ذلك بما ينيف على خمسمائة دينار. قال الذهبي: قد كان هذا الإمام من الكبراء السعداء والسادة العلماء، ذا حشمة وتجمل وعبيد ودار فاخرة ونعمة ظاهرة ورفعة في الدنيا والآخرة. كان يقبل الهدية، ويأكل طيبًا ويعمل صالحًا، وما أحسن قول ابن المبارك فيه:

صَمُوتٌ إذا ما الصمت زين لأهله
وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة
وسيطت له الآداب باللحمِ والدمِ

الهوامش

(١) رواه أحمد (٢/٢٩٩)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن حبان (٢٣٠٨)، والحاكم (١/٩١)، والبيهقي (١/٣٨٦)، وسنده ضعيف فيه تدليس ابن جريج وأبي الزبير، وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري ولا ينفع، ففي سنده انقطاع كما في سير أعلام النبلاء.

(٢) الزيارة الشرعية لا البدعية.

الجدية في الالتزام بالشرع

الحلقة الأولى

كتبه الشيخ:
جمال عبد الرحمن

لقد أمر الله تعالى بالقوة في الدين، فقال تعالى: (خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّة)، وقال لموسى ﷺ: (فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا)، وأنزل على محمد ﷺ قوله: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم)، وقد عَنْون الإمام مسلم في «صحيحه» بعنوان: (باب الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله)، وذكر حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير». (صحيح مسلم: ج٤، ص٢٠٥٢).

فالذي يجب على المسلم أن يكون قويًا في دينه، يأخذ بالعزائم من الأفعال، ولا يتبع المتشابه وضعيف الآراء والأقوال، يصبر على ما أصابه، ويدعو إلى الخير ويلتمس أبوابه، يسارع في الخيرات، وينفر عن المنكرات، ويتطلع إلى الباقيات الصالحات، يرجو بذلك رحمة رب البريات.

ومجال ذلك كبير، ويسير غير عسير، ولكن على من يسره الله عليه، فتجد المسلم قويًا في جميع نواحي دينه، فدينه لا يتجزأ، وتسليمه لله لا يتعدد، وإيمانه دائمًا يتجدد، فانظر إليه في سائر أحواله:

١- في حماية حمى التوحيد:

عن العباس بن عبد المطلب قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ من المدينة فالتفتَ إليها، فقال: «إن الله قد برأ هذه الجزيرة من الشرك، ولكن أخاف أن تضلهم النجوم. قال: ينزل الغيث فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا». رواه أبو يعلى والطبراني والهيثمي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمدًا يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: (قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ). أخرجه مسلم.

فإذا كان محمد ﷺ- وهو رسول الله- لا يعلم ما في غد، ومُدعي ذلك قد افترى على الله افتراءاً عظيماً فلماذا يأتي البعض إلى السحرة والكهان والمنجمين ويصدقهم بما يدعونا علمه من غيبيات وهل هذا من الجدية فى الالتزام بالدين؟!

رُوي أنه دخل على الحجاج مُنَجم فاعتقله الحجاج، ثم أخذ حصيات فعدهن، ثم قال: كم في يدي من حصاة؟ فحسب المنجم، ثم قال: كذا، فأصاب، ثم اعتقله، فأخذ حصيات لم يعدهن، فقال: كم في يدي؟ فحسب فأخطأ، ثم حسب فأخطأ، ثم قال: أيها الأمير، أظنك لا تعرف عددها، قال: لا، قال: فإني لا أصيب يعنى لن أعرف العدد هذه المرة، قال الحجاج: فما الفرق؟ قال: إن ذلك أحصيته فخرج عن حد الغيب، وهذا لم تحصه فهو غيب، و(لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ). (تفسير القرطبي: ج١٣، ص٢٢٦).

٢- في المحافظة على الصلاة:

سَلَفُنا الأول رحمهم الله كانوا رغم كثرة انشغالهم بطلب العلم، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، وإرساء قواعد هذا الدين، وقيام الليل، وبجانب هذا كله السعي على أرزاقهم ومعاشهم والتجارة والسفر، مع بُعد المسافات وصعوبة المواصلات ووعورة الطرقات؛ ما كان يمنعهم هذا كله من المحافظة على الصلوات، في المسجد على الأوقات أينما أدركتْهم.

وانظر إليهم رحمك الله وهم يؤدون صلاة الفجر التي طُعن وهو يؤمهم فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فسقط مضرجًا بدمائه بعدما كبر تكبيرة الإحرام. قال عمرو بن ميمون- راوي الحديث وشاهد الحادثة-: فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله. (صحيح البخاري: ج٣، ص١٣٥٤).

وهذا دليل على امتلاء المسجد، حتى إنهم لم يعلموا بإصابة عمر رضي الله عنه، فظنوا أنه سكت عن القراءة سهوًا، فأخذوا يذكرونه بقولهم: سبحان الله.

ولضعف الهمة عند الكثيرين في أزماننا تجد التهاون في الصلاة وفي أدائها في مواقيتها وفي المسجد وفي جماعة، وغير ذلك، بل تجد بعضًا ممن يحملون راية الالتزام والدعوة إلى الله يتأخرون عن الصلاة وعن الصفوف الأولى، وغالب صلاتهم صلاة المسبوق، أو منفردين، وربما دخل إلى نفوسهم وقلوبهم تبرير خفي بأنهم مشغولون بأمر الدعوة ومشاكل المسلمين، ومحتاجون إلى كل دقيقة من الوقت، وهذا في حد ذاته تلبيس وفتنة خفية، فـ «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله». إسناده حسن لشواهده. قاله الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (ج٧، ص١٤٥).

وها هو أمير المؤمنين عمر نفسه على كثرة انشغالاته قابلته خولة بنت ثعلبة فاستوقفته طويلاً ووعظته، وقالت له: يا عمر، قد كنت تدعى عميرًا، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن الحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة. (تفسير القرطبي: ج١٧، ص٢٦٩).

فانظر إلى الحرص على المكتوبات والذي أفرزته القوة في الدين والجدية في الالتزام به.

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم: لو عرست بنا يا رسول الله؟ قال: «أخاف أن تناموا عن الصلاة». (صحيح البخاري ج١، ص٢١٤).

والتعريس: النزول آخر الليل. فخشي النبي ﷺ أن يسير بهم آخر الليل حتى لا يتعبوا وينامو قبل الفجر، فتضيع الصلاة عن وقتها. فهل لنا فيه أسوة ﷺ؟! فليتق الله الذين يسهرون إلى آخر الليل ثم ينامون عن صلاة الفجر.

٣- في العمل بما نقول ونعلم.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ) (الصف: ٢).

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، قال: يرحمك الله، وأينا يفعل ما يقول، ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر؟

وقال مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أُمر أحد بمعروف ولا نهي عن منكر، قال مالك: وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء؟ (تفسير القرطبي: ج١، ص٣٦٧).

فمطرف بن عبد الله لشدة خوفه من الله منعه خوفه أن يكون من الذين يقولون ما لا يفعلون من الوعظ والحديث، وأين ذلك ممن يكثرون القول ولا فعل، ويجمعون العلم ولا عمل؟

٤- في عدم الجرأة على الدين.

قال أبو هريرة: أرادني عمر رضي الله عنه على العمل (يعني أن يكون عاملاً له)، قال: فأبيت عليه، فقال: ولِمَ وقد سأل يوسف العمل وكان خيرًا منك؟ فقلت: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا ابن أميمة، وأنا أخاف ثلاثًا واثنتين، قال: أوَلا تقول خمسًا؟ قلت: لا، قال: فما هن؟ قلت: أخاف أن أقول بغير علم، وأن أفتي بغير علم، وأن يضرب ظهري وأن يشتم عرضي، وأن يؤخذ مالي بالضرب. (الحاكم في المستدرك (ج٢، ص٣٧٨)، وقال: هذا حديث بإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). رحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

٥- في الخوف من خلط الإسلام بسيئ العمل:

عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة». (صحيح البخاري: ج٥، ص٢٠٢١).

وهذا من الفهم الصحيح والالتزام الصريح بأن ترد عليه ما أمهرها وأعطاها من غير تحايل ولا مراوغة، إضافة إلى أنها أنصفت زوجها ولم تفجر عند إرادتها الانفصال عنه فتنعته بما ليس فيه؛ وإنما أثبتت له فضله وعبادته وحسن خلقه، وحصرت القضية فقط في عدم وجود القابلية والتوافق بينها وبينه.

٦- في الرفق بالناس:

عن عائشة رضي اللهُ عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أُمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أُمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به». مسلم.

وعنها رضي اللهُ عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ من عندي وهو قرير العين، طيب النفس، ثم رجع إليَّ وهو حزين، فقلت: يا رسول الله، خرجت من عندي وأنت كذا وكذا، قال: «إني دخلت الكعبة وددت أني لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون قد أتعبت أُمتي من بعدي». صحيح ابن خزيمة.

فهل يخشى الله، كل من استرعاه الله رعية فيرفق بها حتى يرفق الله به.

هذا وبالله التوفيق، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

وقفات مع القصة فى كتاب الله

قصة موسى عليه السلام

الحلقة رقم (١٣)

بقلم الشيخ:
عبد الرازق السيد عيد

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾

الحمد لله اللطيف الخبير، عالم الغيب والشهادة وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول سبحانه وتعالى:

١- (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ. وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ. وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ. يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (غافر: ٢٩، ٣٣).

مازلنا في مجلس الحرب الذي عقده فرعون في قصره المنيف على ضفاف نيل مصر؛ لينظر في أمر موسى وهارون وقومهما، بعد أن ظهر أمرهم وقامت حجتهم بإسلام السحرة لله رب العالمين.

رغبة فرعون في قتل موسى !!

وكان قد أعلن عن عزمه على تقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم، بل صرَّح فرعون برغبته في قتل موسى قبل ظهور دينه واستعلاء شأنه. وكان قد حضر مجلس فرعون من الوجهاء والكبراء والوزراء والنظَّار والمستشارين ومنهم هامان وقارون، ومنهم كذلك العبد الصالح المؤمن الذي كان يكتم إيمانه، ولكنه تكلم في هذا المجلس حين رأى المؤامرة على موسى، نعم تكلَّم ليعلن كلمة حق في وجه سلطان جائر، تكلم حتى لا يكون ساكتًا عن الحق فيكون كالشيطان الأخرس،

تكلم ليأمر بمعروف وينهى عن منكر، تكلم لينقذ نفسه وقومه من النار، وقد عرضنا لجانب مما دار في ذلك المجلس في مقالنا السابق، واليوم بعون الله نواصل استكمال الحديث واستكمال جوانب القصة. وها هو العبد الصالح الراشد يواصل نصحه لقومه قائلاً: (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا)؟ استخدم لهم لهجةً في الخطاب تشعرهم بأنَّه منهم، يصيبه ما يصيبهم؛ ولذا فهو مشفق عليهم، فقال: (يا قوم...) وقال: (ينصرنا)؛ ليشمل نفسه معهم، ثم حذرهم ألا يغتروا بما هم فيه اليوم من قوة، فالله أشد بأسًا وأشد تنكيلاً، وهم إن أقاموا على معصية الله ومخالفة رسوله فلا يأمنون مكر الله وانتقامه، الذي قد يأتيهم في أي لحظة، فمن الذي ينصرهم من بأس الله إن جاءهم فجأة؟ وهذا كلام يدلُّ على الحكمة والرشد والوعي بأخبار السابقين، وفيه كذلك شفقة ورحمة بالمخاطبين، لكن ماذا كان جواب فرعون؟

(قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ). هذا منطق كل طاغية مستبد يرى النصيحة تدخُّلاً في سلطانه ومشاركة في نفوذه، فهو يرى أن الكلمة كلمته، والمشورة مشورته، والرأي رأيه، ورأيه هو الصواب، ولن يسمح لأحد بالتدخل في شأن الحكم والنظام كائنًا من كان، بهذا نطق فرعون الطاغية المستبد.

وكأنَّه يشير من طرف خفي إلى الرجل المؤمن أن يكفَّ عن نصيحته، وأن يسكت عن كلامه، فقوله ونصحه لن يغيِّر من الأمر شيئًا.

فهل سكت الرجل المؤمن، وهل خاف تهديد فرعون ولهجته الغاشمة؟

لا، بل رأى من واجبه أن يستمر في نصح قومه مستعليًا بالحق الذي يؤمن به، مستهينًا بالباطل في جميع صوره، فأخذ يطرق أسماعهم بأمثلة قريبة من الواقع هم قد سمعوا بها لعل القلوب القاسية تلين، لقد ذكرَّهُم بمصارع المكذبين من الأمم السابقة، فقال: (يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ).

يقول لهم- مذكرًا-: أسمعتم ما حلّ بالأمم السابقة من عذاب، وما ظلمهم الله عندما دمَّر عليهم؛ لأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم عندما أشركوا بالله وعصوا رسله، فكان الجزاء من جنس العمل، وللكافرين أمثالها في كل زمان ومكان، ثم ذكرهم بأن مصير الجميع إلى الله إن لم يحدث الانتقام في الدنيا فهناك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، وسماه بيوم التناد، أي يوم القيامة، حيث ينادي الناس بعضهم بعضًا من شدّة الهول يحاولون الفرار، لكن أين المفر؟ إلى ربك يومئذ المستقر. ثم يختم هذه النصيحة القوية بلفتةٍ ذكيةٍ، فيقول: (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)، يا لها من روعة في البيان! وهو يشير من طرف خفي إلى قول فرعون السابق: (مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ)، فيقول العبد الصالح: إن الهدى هدى الله، والضلال كذلك، فليس فرعون هو الذي يهدي إلى سبيل الرشاد، لكن من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له. ولو كان فرعون من الذين هداهم الله لم يقل ما قال، كل هذه الإشارات والإيحاءات نفهمها من مقولة العبد الصالح مؤمن آل فرعون: (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)، ثم ماذا بعد؟ ماذا كانت نتيجة هذه الموعظة البليغة التي أخذت قلوب القوم قبل أسماعهم؟ لا شك أنها ألقت بظلالها على القوم، ولعلَّ فرعون لاحظ ذلك فاتجه بالحديث وجهة أخرى، وجهة المستهزئ المتهكم، وطلب من هامان وزيره أن يبني له برجًا عاليًا يصعد عليه ليرى إله موسى(١)، وإنه ليظنه كاذبًا، وهذه طريقة المكذبين بالرسل يستهزءون بالحق الذي جاءهم(٢)، ويريدون رؤية الله جهارًا نهارًا، وأنى لهم ذلك. وهنا يُعقِّب الله سبحانه وتعالى على موقف فرعون المكذِّب، فيقول الحق تبارك

وتعالى: (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدُّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ) (غافر: ٣٧)، نترك هذا التعقيب القرآني البليغ يعمل مداه في القلوب، ثم ننتقل بسرعة إلى الجولة الأخيرة من نصيحة العبد الصالح والتي قصَّها الله علينا في قوله:

٥- (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. üوَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ. لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (غافر: ٣٨- ٤٤).

هذه الكلمة الأخيرة للعبد الصالح مؤمن آل فرعون ألقاها في وجه الطغيان والفساد والصد عن سبيل الله، ألقاها الرجل في مواجهة فرعون وملئه قوية صريحة مدوية، تخلَّى فيها عن أسلوب التلطف والحذر الذي كان في أول الكلام، وأطلقها صريحة مدوية لا يخاف فيها لومة لائم. إنها قوة الحق وشجاعة الإيمان وثبات اليقين، جعلته يصدع بالحق صريحًا واضحًا، معلنًا للقوم الحقائق الإيمانية التالية:

١- أعلن لهم في صراحة ووضوح أن في اتباعه الهداية إلى سبيل الرشاد؛ لأنه يدعوهم للإيمان بالله وحده واتباع رسله، وهذا هو الرشد وليس الرشاد في اتباع فرعون، إنما فيه الغواية والضلال.

٢- عقد لهم مقارنة بين الدنيا والآخرة، مبينًا فيها حقارة متاع الدنيا إلى جانب الآخرة، مع سرعة زوال الدنيا، ودوام الآخرة.

٣- تقرير عدل الله في مجازاة السيئة بالسيئة، وبيان فضله وإحسانه بمضاعفة ثواب الأعمال الصالحة للمؤمنين، يستوي في ذلك الذكور والإناث.

٤- يستنكر على قومه دعوتهم إياه إلى الشرك، بينما يدعوهم هو إلى توحيد العزيز الغفار، فهو يدعوهم إلى طريق الجنة، وهم يدعونه إلى النار.

٥- يؤكد لهم أن ما يعبدونه من دون الله لا ينفع ولا يضر ولا يملك شيئًا من أمر الدنيا والآخرة، ولم يدع أحدًا منهم لعبادته، بينما الدنيا والآخرة لله رب العالمين الذي إليه مصيرنا جميعًا.

٦- يؤكد لهم سوء عاقبة المسرفين، وأن مصيرهم إلى النار خالدين فيها جزاء تجاوزهم للحد مع الله ومع الناس في الدنيا.

٧- يختم نصيحته ببيان أنهم سيذكرون قوله هذا ساعة لا تنفع الذكرى ولا ينفع الندم، أما هو فلا يخاف تهديدهم ولا يخاف بطشهم؛ لأنه يفوض أمره إلى الله المطلع على أحوال عباده، البصير بهم سبحانه.

وبعد أن ختم العبد الصالح موعظته وتذكرته يأتي التعقيب القرآني شافيًا كافيًا، فيقول: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) (غافر: ٤٥). فوقاه الله سيئات ما مكروا به في الدنيا، ووقاه مصيرهم في الآخرة، وحاق بآل فرعون سوء العذاب في الدنيا والآخرة.

وإلى تفصيل ذلك في اللقاء القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(١) في هذا إشارة إلى أن موسى عليه السلام كان يقول: إن الله في السماء.

(٢) وعبثًا حاول فرعون بهذا الأسلوب أن يُظهر نفسه في ثوب الباحث عن الحقيقة أمام قومه، وهو نوع من المكر والخداع يستخدمه الطغاة أحيانًا.

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

الحلقة الأخيرة

هل الخضر ملك؟ أم ولي؟ أم نبي؟

بقلم: أ. محمود المراكبي

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم، فصار بيانه أتم بيان، والصلاة والسلام على آل بيته الأبرار وعلى صحابته الأخيار، وبعد:

نكمل حديثنا عن الخضر عليه السلام، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خامساً: عصمة الخضر:

ورُبَّ قائل من الباطنية أو الصوفية يقول: نحن نتفق على كل هذه المقدمات ونختلف على النتيجة، نحن نقول: إن الخضر عليه السلام- شأنه شأن ذي القرنين- وَلِيٌّ أوتي رحمة وعلمًا ووحيًا، لكنه ليس بنبي، فأَثْبِت لنا العكس؟

نقول والله الموفق: قولكم بولاية الخضر عليه السلام ينقص قدره ويرفع عنه العصمة، بينما قولنا بنبوته إثبات لعصمته، فالاختلاف إذن محصور في الإقرار بعصمته، إذا قلتم بعصمته لزمكم الإقرار بنبوته، أما قولكم بولايته يلازمه انتفاء عصمته، وتدني منزلته عن جميع الأنبياء، ونذكركم بأن أشرف الخلق بعد الأنبياء أبو بكر الصديق، ليس بمعصوم، وقد كان مترددًا في جمع القرآن الكريم؛ حتى لا يفعل ما لم يأمر به النبي ﷺ، وظل عمر الفاروق يُلح عليه حتى شرح الله صدره لذلك، وعندما أصاب علي بن أبي طالب في بعض المواقف لم يتحرج الفاروق أن يمدح علم أبي الحسن، وكلاهما غير معصوم.

إن ما سبق بيانه يساعدنا الآن على إدراك الفرق الكبير بين قتل ذي القرنين للظالمين، وقتل الخضر للغلام، وهو ما أظهره القرآن الكريم تمامًا، فذو القرنين يعذب الذين ظلموا وأفسدوا في الأرض، وهو مطالب بإثبات جرم كل منهم أمام الناس حتى ينزل عليه ما يستحقه من عذاب، فمنزلة ذي القرنين هنا كمنزلة الإمام العادل الذي يتقدم السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، أما قتل الخضر للغلام فقد عبر عنه موسى بقوله: (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) (الكهف: ٧٤)، ولا شك أنه فِعْلٌ منكر في جميع الشرائع والأعراف؛ لذلك لم يكن أمام الخضر إلا أن ينسب الأمر إلى وحي الله له، مع بيان وجه الرحمة في هذا القتل.

نبوة الخضر.. وواقعة قتل الغلام!!

ولا شك أن قول الباطنية بولاية الخضر إقرار منهم أنه دون منزلة أبي بكر وعمر رضوان الله عليهم، فكيف يُقْدِم على خرق السفينة وإزهاق الأرواح وقتل الأبرياء بمجرد الإلقاء في خلده، وخاطره ليس بمعصوم، ولهذا استدل العلماء ومنهم ابن كثير في «البداية والنهاية» (١: ٣٠٦)، وابن الجوزي في «عجالة المنتظر» بواقعة قتل الغلام على نبوته وقالوا: إن الخضر عليه السلام أقدم على قتل الغلام، وما ذاك إلا بما أوحي إليه من الملك العلاّم، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته؛ لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده؛ لأن خاطره ليس بواجب العصمة، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق.

ويقول ابن حجر في «الإصابة» (١/٤٣): ومما يستدل به على نبوة الخضر ما أخرجه عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس قال: (قال موسى لما لقي الخضر: السلام عليك يا خضر، فقال: وعليك السلام يا موسى، قال: وما يدريك أني موسى؟ قال: أدراني بك الذي أدراك بي). والربيع بن أنس يروي عن أنس بن مالك، وروى له الأربعة، قال عنه العجلي: «بصري صدوق»، وقال أبو حاتم: «صدق»، وقال النسائي: «ليس به بأس»، وقال يحيى بن معين: «كان يتشيع فيفرط»، وذكره ابن حبان في «الثقات». (راجع «تهذيب التهذيب» (٣: ٢٠٧ ترجمة رقم ٤٦١».

ويقول الإمام الشاطبي في «الموافقات» (٢: ٢٩٧) بعد أن قرر نبوة الخضر عليه السلام: ويجوز للنبي أن يحكم بمقتضى الوحي من غير إشكال، وإن سلم فهي قضية عين، ولأمر ما، وليست جارية في شرعنا، والدليل على ذلك أنه لا يجوز في هذه الملة لولي، ولا لغيره ممن ليس بنبي أن يقتل صبيًا لم يبلغ الحُلُم، وإن عَلِمَ أنَّه طُبع كافرًا، وأنه لا يؤمن أبدًا، وأنه لو عاش أرهق والديه طغيانًا وكفرًا، وإن أُذِنَ له في عالَم الغيب في ذلك، لأن الشريعة قد قررت الأمر والنهي، وإنما

الظاهر في تلك القصة أنها وقعت على مقتضى شريعة أخرى.

سادساً: عناصر النبوة في القصة:

لقد اشتملت قصة موسى والخضر عليهما السلام على جميع عناصر النبوة، فالنبوة تقتضي وجود نبي يتلقى وحيًا عن ربه، وآية دالة على هذه النبوة، وإخبار من الله عز وجل بصدق النبي، ثم قوم- ينقص عددهم أو يزيد- يتلقون هذه النبوة، وكل هذه العناصر ثابتة في هذا اللقاء، فالله عز وجل أخبر موسى عليه السلام بالسفر إلى مجمع البحرين للقاء عبد الله الصالح، والوحي ثابت إلى الخضر عليه السلام، والآية الدالة الجامعة لهما هي إحياء الحوت وسريانه في البحر عجبًا، والقوم هنا موسى عليه السلام وفتاه، فما الغرابة في ذلك؟

فإن قلت: هل يرسل الله رسولاً إلى غيره من الأنبياء يَتَلَقَّوْن عنه رسالة عن ربه؟

نقول: نعم إن في قصة أصحاب القرية التي ذكرها القرآن الكريم الإجابة، حيث أرسل الله عز وجل رسولين إلى القرية ثم أرسل نبيًا ثالثًا معززًا لهما، وناقلاً عن ربه، قال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ) (يس: ١٣، ١٤).

علم موسى والخضر من مشكاة واحدة!!

كما ورد في السنة ما يقرر نفس المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليسمع الصوت فيكون نبيًا». ويروى عنه ﷺ ما معناه: «كان فيمن سبق يبعث النبي إلى الرجل والرجلين»، وإلى هذا المعنى أشار الخضر عليه السلام بقوله لموسى عليه السلام: «يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه». وفي آخر الحديث يقول رسول الله ﷺ: «وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»، ويشير هذا الحديث إلى أن علم موسى والخضر عليهما السلام من مشكاة واحدة وبحر واحد، قد اختص كل منهما بجزء لا يعلمه الآخر، وقد ذهب فريق من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام نبي أرسل إلى قومه فاستجابوا له، ومنهم إسماعيل بن أبي زياد ومحمد بن الحسن الرماني، ثم ابن الجوزي، ولا يوجد ما ينفي هذا الرأي، فليس هناك ما يمنع وجود أكثر من نبي في وقت واحد، فقد عاصر كثير من الأنبياء غيرهم، مثل: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط الذي هاجر حين أرسله ربه إلى قوم آخرين، وترك الخليل إبراهيم عليه السلام مع قومه، كما عاش داود وسليمان، وعاش يعقوب ويوسف، وأيضًا موسى وهارون وشعيب، وأخيرًا زكريا وعيسى ويحيى صلوات الله عليهم أجمعين. قال تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ)، فموسى وهارون عليهما السلام أرسلهما الله إلى بني إسرائيل، ولا شك أن أممًا أخرى تعيش على الأرض آنذاك، ومعنى أن يسافر موسى وفتاه سفرًا طويلاً لقيا فيه النصب والتعب، أنهما تركا ديار بني إسرائيل ووصلا إلى قوم آخرين.

الخضر عليه السلام نذير تلك الأمة!!

فما الذي يمنع أن يكون الخضر عليه السلام هو نذير تلك الأمة ونبيهم، ويرجح هذا الرأي أن الخضر عليه السلام كان معروفًا في قومه بالصلاح، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «... حتى إذا ركبا في السفينة وجدا معابر صغارًا تحمل أهل هذا الساحل إلى الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح، قال: قلنا لسعيد خضر؟ قال: نعم، لا نحمله بأجر. وفي رواية: فحملوهم بغير نَوْل. وفي صحيح مسلم: فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة فكلماهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر فحملوهما من غير نول. وفي «مسند أحمد»: أن أصحاب السفينة وصفوا الخضر عليه السلام بقولهم: عبد الله الصالح؛ لذلك لا يحملونه بأجر، فلو كانوا في ديار بني إسرائيل لعرف أصحاب السفينة موسى عليه السلام، بينما المعروف هنا هو العبد الصالح، والغريب هو موسى عليه السلام.

ولا خلاف على أن الصلاح وصف قرآني مقرون بالأنبياء، قال تعالى في وصف أنبيائه: (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ)، وفي حق إبراهيم الخليل: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ).

وفي حق لوط: (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)، وكذا في قوله تعالى: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ)، وهذا سليمان عليه السلام يدعو ربه بقوله: (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ).

فتوى شرعية هامة

صادرة عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال: هل الخضر صاحب موسى عليه السلام حي يرزق للآن؟ وهل هو نبي؟ وهل ذكر ذلك صراحة في الأحاديث النبوية الصحيحة ما هي حقيقة الأمر؟

الجواب: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه... وبعد:

فالخضر نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، والصحيح أنه مات كغيره من البشر..، الصحيح من قولي العلماء ما ذهب إليه الجمهور من أن الخضر عليه السلام قد مات؛ لظاهر العموم في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ).

داءُ الرياء القاتل.. وعلاجه الناجع

بقلم: محمد أيمن الشبراوي

الرياءُ داءٌ قاتل من أخطر أَدْواءِ القلوب، ومن الأوبئة الخلقية الضارة التي تضرُّ الإنسان فتبطل عمله؛ فهو يحتاج من كل مسلم إلى يقظة مستمرة ودائمة في كل الأقوال والأعمال والأفعال، بل وفي الحركات والسكنات، حتى لا يتسلل هذا الداء الخطير إلى القول أو الفعل فيبطل هذا العمل ويحبطه، عافانا اللَّه وإياكم من هذا المرض الخطير، وملأ قلوبنا بالإيمان والإخلاص إلى مُشاشها.

والرياء مصدر راءَى يُرائي مراءاةً ورياءً، وهو أن يُري الناس أنه يعمل عملاً على صفة، وهو يُضمر في قلبه صفة أخرى، فلا اعتداد ولا ثواب إلا بما خلصت فيه النية لله تعالى، كما قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه اللَّه.

وهناك فرق بين الرياء، وبين السمعة، فالرياء العمل من أجل رؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم، فالرياء متعلق بحاسة البصر، والسمعة تتعلق بحاسة السمع، ويدخل في السمعة أن يُخفي المرء العمل ثم يُحدِّث به الناس.

قال الطيبي رحمه اللَّه: والرياء من أضر غوائل النفس، وبواطن مكائدها، يبتلى به العلماء والعُبَّاد، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا أنفسهم، وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير، وإظهار العلم والعمل، فوجدت مخلصًا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى، وفرحت نفسه بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحب مدحهم، وتبركهم بمشاهدته، وخدمته وإكرامه، وتقديمه في المحافل، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات، وأعظم الشهوات، وهو يظن أنه عند اللَّه من عباده المقربين، وقد أثبت اسمه عند اللَّه من المنافقين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلاَّ الصديقون، ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة. اهـ.

وللرياء علامات واضحة تدل عليه، وتنبئ عنه، وهي منصوص عليها في الكتاب والسنة المشرفة.

١- **تأخيرالصلاة** عن مواقيتها دون عذر شرعي، كما قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) (الماعون: ٤- ٧).

٢- **الكسل والخمول** إذا قام أحدهم للعبادة، قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً) (النساء: ١٤٢)، فالمراءون لا يؤدون الصلاة أو العبادة بنشاط وشوق لمناجاة الله تعالى، لكن يؤدونها بكسل وخمول وتباطؤ، وهي أثقل ما يكون على نفوسهم الخبيثة، كما قال ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا». أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة.

٣- **النشاط** في أداء العبادة إذا نظر إليه الناس أو أثْنوا عليه، كما قال ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى، قال: «الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيُصلي فيزين صلاتهُ؛ لما يرى من نظر الرجل». أخرجه

أحمد من حديث أبي سعيد مرفوعًا.

ويشهد له الحديث: «يا أيها الناس، إياكم وشرك السرائر». قالوا: يا رسول الله، وما شركُ السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدًا؛ لما يرى من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر». أخرجه ابن خزيمة عن محمود بن لبيد، كما رواه البيهقي عن محمود بن لبيد، عن جابر بن عبد الله، وهو حديث صحيح.

فالمراءون يزينون صلاتهم لما يرون من نظر الناس إليهم، وثنائهم عليهم، ولا ريب أن الحامل لهؤلاء على ذلك هو حب الرياسة، أو الجاه عند الناس، وقد سمي الرياء شركًا خفيًا؛ لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويُخفي في قلبه أنه لغيره، وهو الشرك الأصغر، فقد روى الحاكم، والبزار بإسناد حسن عن شداد بن أوس قال: كنا نعُدُّ الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر.

فقد يرائي المسلم بكثرة الصلاة، وطول القيام، وتطويل الركوع والسجود، وإظهار الخشوع والخضوع، وإذا انفرد المرائي فإنه يخفف صلاته ولا يجيدها، حتى تصل إلى حد النقر، نسأل الله العافية.

وقد يرائي القارئ بترقيق صوته عند تلاوة القرآن، وإظهار البكاء أمام الناس، وإذا انفرد بالقراءة في بيته أو خلوته لا يبكي أو يتباكى- وربما لا يتأثر- بما يتلوه خوفًا من آيات العذاب والوعيد، وشوقًا لِما يقرؤه من وعد بالنعيم.

وقد يرائي المسلم بكثرة الشيوخ الذين درس عليهم وتلقى عنهم العلم، وكثرة الإجازات العلمية التي حصل عليها منهم طلبًا للجاه وحب الرياسة، أو للثناء والشهرة، وحب الصيت، وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك، فقال: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في زريبة غنم بأفسد من حرص المرء على المال والشرف بدينه»، فهذا يحرص على الشرف والعلو في الدين، فتراه يرائي بإجازاته وعلمه، وكثرة شيوخه، وقد يظهر الزهد، فيلبس الثياب الخشنة، أو يلبس الشال- الغُتْرة- والقلنسوة حتى يعُدَّهُ الناس من العلماء، فالفساد الذي يتحقق من الحرص على المال والشرف في الدنيا بالدين ليس بأفسد من ذئبين أرسلا في زريبة الغنم، فهو أشد إفسادًا وفتكًا في النفوس من إفساد الذئبين بالغنم، وقد حذر النبي ﷺ من تعلم العلم للدنيا، فقال: «من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة». أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وهو حديث صحيح بطرقه.

وقد يُرائي بالثياب الحسنة الغالية، والسيارات الفارهة، أو الوظيفة الكبيرة، وكثرة المرءوسين، ونحو ذلك.

والمرائي يفعل هذا طلبًا للمكانة في قلوب الخلق، فيطيعونه، ويمدحونه، ويخدمونه، ويوقرونه، وقد يفعل هذا الفعل رياءً فرارًا من ذم الناس، أو طمعًا لما في أيديهم، كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّهُ عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل حميَّة، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياءً، فأيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله». أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري.

فهو يقاتل ليقال عنه شجاع، أو ليقال عنه حامي الديار، وأنه ما قصر في أداء الواجب وليس لله، فلا حظ له في الآخرة. وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي عرضًا من عرض الدنيا، فقال النبي ﷺ: «لا أجر له». أخرجه أبو داود، وهو حديث صحيح لشواهده، وورد عن معاذ مرفوعًا: «الغزو غزوان، فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نَومَهُ ونُبهَهُ أجرٌ كلُّهُ، وأمَّا من غزا فخرًا ورياءً، وسُمْعةً، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف». أخرجه مالك، وأبو داود، والنسائي بإسناد حسن.

فلا جرم أن هذا المجاهد ليُقال شجاع، أو المقاتل للحمية، أو هذا المتعلم للعلم ليقال عالم، أو المنفق المتصدق ليقال جواد كريم هو أوَّل من تسعر بهم النار يوم القيامة، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة مرفوعًا: «إن أوَّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه: رجل استُشهد فأتي به فعرَّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ، قال: كذبتَ، ولكنك قاتلت لأن يُقال هو جريء، فقد قيل، ثم أمر

به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلَّمهُ، وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلَّمتُهُ، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليُقال عالم، وقرأتُ القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فَسُحبَ على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّعَ اللَّه عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تُحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلتَ ليُقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فَسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار». رواه مسلم، والنسائي، والترمذي، وابن حبان.

وقد ورد بإسناد حسن عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «بشّر هذه الأمة بالنصر والسَّناء والتمكين، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب». أخرجه أحمد في «المسند»، وفي «الزهد»، والحاكم، والبغوي في «شرح السنة» من حديث أبي بن كعب مرفوعًا.

كما قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص: ٨٣).

وقال تعالى: (لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران: ١٨٨)، أمَّا إن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ودفعه، فلا يضره ذلك بغير خلاف بين العلماء، أما إذا استرسل مع هذا الخاطر خاطر الرياء، فإن عمله لا يبطل بهذا الخاطر، ويجازى بنيته الأولى كما حكاه الإمام أحمد، وابن جرير الطبري عن الحسن البصري وغيره من العلماء.

وإذا عمل العبد العمل لله، ثم ألقى الله الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك، قال تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: ٥٨).

وهو عاجل بشرى المؤمن، كما في الحديث الصحيح عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمدُهُ الناس عليه، قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن». أخرجه مسلم، وابن ماجه، وأحمد، وغيرهم من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبته له، فحبَّبه سبحانه إلى قلوب الناس، لما ورد في الحديث الصحيح المحفوظ عن أبي هريرة مرفوعًا: «إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبرائيل، فقال: إني أحبُّ عبدي فأحبوه، فيُنوِّهُ بها جبرائيل في حملة العرش، فتسمع أهل السماء لغط حملة العرش، فيحبه أهل السماء السابعة، ثم سماء سماء حتى ينزل إلى السماء الدنيا، ثم يهبط إلى الأرض، فيحبه أهل الأرض».

ويجب على كل مسلم يبتغي مرضاة الله عز وجل أن يحترز من الرياء في أي قول أو فعل، وعلى العاقل أن يتفكر في مضار الرياء فيعمل على إصلاح قلبه، ويخلصه من الرياء الذي يحبط الأعمال.

علاج الرياء!!

وهناك أمور هامة لعلاج الرياء يجب على كل مسلم أن يضعها نصب عينيه:

١- أن يعلم المسلم أن الله وحده الذي يملك النفع والضر، فالعالَم بأسره لا يستطيع أن يدفع عن إنسان ضرًا أو أجلاً قدَّره الله عز وجل، كما أن العالَم بأسره لا يستطيع جلب منفعة أو إكثار رزق لأحد، كما ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس مرفوعًا: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جفَّ القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه». أخرجه أحمد واللفظ له، والترمذي، والطبراني، وغيرهم عن ابن عباس مرفوعًا، وهو حديث صحيح.

فإذا كان الخلق بهذا الضعف، وعدم القدرة على النفع والضر، فلا ينبغي أن يلتفت لمراءاتهم أحد، فحريٌ بكل مسلم أن يعمل على تحقيق الإخلاص للذي يملك النفع والضر.

٢- أن يعلم المسلم علمًا يقينيًا أن الله تعالى مطلع على خبيئة صدره، ومكنون قلبه، فهو القائل: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر: ١٩)، وقوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) (القصص: ٦٩)، وقوله

تعالى: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) (النساء: ١٠٨).

٣- ليعلم كل مسلم أن الرازق هو الله وحده، فمن طمع في الخلق لم يخلُ من الذل والخيبة، وإن وصل إلى مراده لم يخلُ عن المنّة والمهانة، فكيف يليق بعاقل أن يترك ما عند الله إلى ما عند الناس، وقد يمنون عليه ويهينونه، فإذا علم العبد ذلك يقينًا، اجتهد في تحرير نيته من أيِّ شائبة رياءً أو سمعة.

٤- ليعلم المسلم أن حمد الناس له لا يزيد رزقه ولا أجله، كما لا ينفعه حمدهم في يوم العرض عليه سبحانه، وهو أفقر ما يكون إلى ثواب عمل من الأعمال التي عملها في الدنيا.

٥- ليعلم العبد المسلم أن المرائي يستحق مقت الله وغضبه بصرف نيته إلى الخلق، فأحبط ثواب عمله في الآخرة الذي يكون بحاجة شديدة إليه في هذا اليوم العصيب، فإذا علم ذلك ووضعه نصب عينيه في كل عمل، أو قول حرص على أن يكون عمله خالصًا لا تشوبه شائبة رياء أو سمعة.

٦- ليعلم المسلم أنه مستحق لنصر الله وتأييده وتمكينه له في الأرض إذا هو حقق الإخلاص، كما قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) (النور: ٥٥)، فمن حقق الإخلاص في عبادته، ولم يشرك بالله شيئًا، فإن الله تعالى سيمكنه في الأرض، ويرزقه الأمن والأمان، كما جاء في هذه الآية الكريمة، فإذا علم ذلك المسلم اجتهد وشمرَّ عن ساق الجد في تحقيق الإخلاص لله وحده، وترك الرياء والسمعة.

٧- ليعلم المسلم أن المرائي لا يخفى على الخلق غالبًا، بل قد يُطْلع اللهُ تعالى الخلق على سوء نيته، وفساد طويته، كما ورد بالحديث الصحيح: «من سمَّع، سمَّع الله به، ومن راءى يُرائي الله به». أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم عن جندب مرفوعًا.

ولله درُّ القائل:

ثوب الرياء يشفُّ عمَّا تحته
فإذا التحفت به فأنت عاري

فإذا علم المسلم ذلك اجتهد وشمر عن ساعد الجد في تحقيق الإخلاص لله تعالى.

٨- الرياء يُسبِّبُ الذل والهوان لصاحبه، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «من سمَّع الناس بعمله، سمَّع الله به مسامع خلقه، وصغَّرهُ، وحقره». أخرجه ابن المبارك، وأحمد، وهناد، والطبراني، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمرو مرفوعًا، فمن علم أن الرياء يوجب له الذل والهوان، كما قال ﷺ جاهد نفسه على الإخلاص لله تعالى، وشمر عن ساق الجد في تحقيقه.

٩- الاستعداد الدائم للقاء الله تعالى في أيِّ وقت بأن يكون المسلم حريصًا على الإخلاص في قوله وعمله، كما قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠)، فمن أيقن أن الموت يأتي فجأة في أيِّ وقت فلا بد أن يحرر نيته دائمًا من أيِّ شائبة رياء أو شرك في أي قول أو عمل.

١٠- ليعلم المسلم أن رضا الناس وحبَّ مدحهم غاية لا تدرك، فمن سعى إلى جلب مدح الناس ومرضاتهم عنه بمراءاتهم، سخط الله تعالى عليه، وأسخط عليه الناس، ومن أرضى الله تعالى بالإخلاص له سبحانه، ولو أسخط عنه الناس، فإن الله تعالى سيرضى عنه ويرضي عنه الناس، ويضع له القبول في الأرض؛ لأنه يحبه، ويحبه أهل السماوات السبع، فحقيق به أن يحبه الناس، فإذا علم العبد ذلك سعى إلى مرضاة الله بالإخلاص له سبحانه.

١١- الحرص على مصاحبة أهل الصلاح والتقى من الموحدين له سبحانه، فالمرء على دين خليله، كما ورد بالحديث، وهم لا شك ناصحوه إذا رأوا منه اعوجاجًا أو انحرافًا في سلوك لا يرضي الله سبحانه.

وبعد: فهلم أيها المسلم، ويا أيتها المسلمة إلى التشمير عن ساق الجد في تحقيق الإخلاص الذي به عز الدنيا والآخرة.

اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد أن ترزقنا الإخلاص في السر والعلن، وتوفنا عليه. إنك سميع مجيب، والله وحده من وراء القصد.

الشيخ بخاري عبده
وخمسون عامًا من العطاء

اسمه: بخاري أحمد عبده

مولده: ولد في ٥/١٢/١٩٢٣م بقرية توماس مركز عنيبة محافظة أسوان.

حفظ القرآن الكريم وهو صغير، وتلقى تعليمه في مدرسة الدر، شأنه في ذلك شأن عبد اللطيف حسين، وصالح سعدان، وسليمان رشاد وغيرهم من أبناء النوبة.

حصل على عالية اللغة العربية، ودبلوم التربية، وماجستير اللغة، ثم العالية والإجازة (تخصص المادة وهى تعادل الدكتوراه).

عمله: عمل موجهًا للغة العربية بالتربية والتعليم، كما نُدب إلى الرياض معلمًا لأنجال الملك.

انضم لجماعة أنصار السنة المحمدية، حتى صار نائبًا للجماعة.

وفاته: توفي فجر يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ الموافق ١٠ يوليو ٢٠٠١م عن عمر قارب الثمانين عامًا، رحمه الله وأحله دار المقامة من فضله، وذلك بعد أن رفع راية التوحيد أكثر من ٥٠ خمسون عامًا، هاجم الشرك والضلال في حصونه، والبدع في مواطنها، وما بالى بأشياع البدع ولا أنصار الشرك، وكان جريئًا في الحق، ولقد كان الشيخ بخاري رحمه الله صاحب قلم سيال كتب في مجلة التوعية بالحج، وكان صاحب أسلوب متميز بين كتاب مجلة التوحيد على مدى سنوات طويلة، وهذا الأمر الذي يذكرني بأسلوب وكتابات الشيخ عبد الرحمن الوكيل (رحمه الله) من قبله، وربما لا يعرف البعض أنه كان شاعرًا، وكانت مقالات وكتابات الشيخ بخاري رحمه الله تتميز بطول النفس، واختيار الألفاظ العربية الرصينة، ناهيك عن كونه رحمه الله كان محاضرًا وخطيبًا مفوهًا.

وخير ما يمثل إنتاج الشيخ بخاري مما قرأته ما كتبه تحت عنوان: (وما أبرئ نفسي)، وكان رحمه الله صاحب رأي في هذه المسألة؛ إذ كان ممن يقولون بأن ذلك قول يوسف عليه السلام.

وقد كان يكتب في مجلة التوحيد بابًا ثابتًا بعنوان نفحات القرآن.

ولقد كان مشهد جنازته رحمه الله معبرًا عن نبت غرسه بيديه، وتابع فيه من كان قبله من إخوانه، أمثال الشيخ: عبد العزيز بن راشد، والشيخ عبد الرازق عفيفي وهو أستاذه، والشيخ محمد فتحي محمود، والشيخ عثمان السبكي، والشيخ عبد الحليم حمودة، والشيخ محمد علي القاضي، والشيخ عكاشة عبده، والشيخ رشاد غانم.

وأما مكانته عند فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم رئيس الجماعة السابق، فقد كانت منزلة ومكانة سامقة، يراها كل من خالطهما، كما كان للشيخ بخاري رحمه الله علاقة وطيدة بعلماء وشيوخ الجماعة الأول، أمثال الشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ أبو الوفاء درويش، والشيخ خليل هراس، رحمهم الله جميعًا رحمة واسعة.

ولسنا بصدد تعداد الموقف الشجاعة التي قام فيها الشيخ بخاري رحمه الله بالزود عن حياض السنة ورفع فيها راية التوحيد، فكان بذلك نصيرًا له قدره، وداعيةً له أثره، أما وفاؤه لإخوانه فلا يزال عندهم مضرب الأمثال.

وقد رزقه الله خمسة من الذكور، وأربعة من الإناث.

رحم الله الشيخ بخاري، وعوضنا عنه خيرًا، وآجرنا في مصيبتنا، وجعل كتابه في عليين.

وجماعة أنصار السنة المحمدية والمركز العام وفروعه تحتسبه عند الله أخًا ورائدًا من رواد الدعوة، وتدعو الله أن يلحقه بالصالحين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا.

والله من وراء القصد.

وكتبه: الشيخ فتحي أمين عثمان (وكيل الجماعة).

عزاء

فجعنا بموت واحد من إخواننا القائمين على الدعوة، بل من المؤسسين للدعوة في أنصار السنة فرع ميت غمر، ألا وهو أخونا محمد خلف، رحمه الله رحمة واسعة، بعد حياة طويلة في الدعوة إلى الله، وقد عرفت فيه الشدة في جانب الحق، ينصر السنة ويحارب البدعة، لا تأخذه في الله لومة لائم، ونحن إذ نكتب هذه الكلمات نطلب من كل من يقرؤها أن يدعو له بالرحمة والمغفرة، اللهم ارفع درجاته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، اللهم أفسح له في قبره، ونور له فيه، واجعله روضة من رياض الجنة، وتجاوز عن سيئاته، وزد في إحسانه، اللهم تقبل واغفر وارحم كل من دعا وقال آمين. والحمد لله رب العالمين.

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأى سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٥ جنيه مصرى . وفروع أنصار السنة ١٢ جنيه . ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولار أمريكى . والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولار

مفاجأة كبرى

لأول مرة تقدم لك كرتونة كاملة تحتوى على ٣٠ مجلد من مجلة التوحيد ٣٠ سنة كاملة

٤٥٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر

١٢٠ دولار لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن
جمعية أنصار السنة المحمدية
رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

مكان البيع بالمركز العام الدور السابع المجلة : ٣٩٢٦٥١٧ الاشتراكات : ٣٩١٥٤٥٦